

Madīnat al-Baṣra al-idrīsiyya bi al-Maghrib

The Idrisid City of Al-Basra in Morocco

مدينة البصرة الإدريسيّة بالمغرب

المصطفى أتق
جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء.

Abstract: The city of Al-Baṣra in Morocco is one of the most important cities of the Early Medieval Period in Morocco because of its role as regional capital of the Idrisids. Part of the archaeological site of the city is covered by the village of Jāwnāṭ al-Baṣra and crossed by the national road connecting Wazzān and Sūk Al-’Arbiā. From remains of the city, only part of its northwest wall is visible. The history of the city is closely linked to that of the Idrisid since it was founded at the beginning of their reign before undergoing destruction at the end of this reign. By studying the texts of the historians and geographers who mentioned Al-Basra and linking them to the results of archaeological research and recent studies on the site, we are able to gather valuable information to rewrite the history of the city.

Keywords: Al-Baṣra, Morocco, The Idrisids, Texts, Archaeology.

ورد ذكر البصرة في أزيد من ثلاثة عشر مصدراً تاريخياً تحدثت عن جوانب مختلفة من تاريخ المدينة شملت السياسة والاقتصاد والعمارة والمناخ والتضاريس والثقافة والسكان. حدد شارل تيسو في أواخر القرن التاسع عشر مكان وجود مدينة البصرة وتعرف بموقعها الأثري على الجزء الشمالي الغربي من السور وبقايا أثرية حجرية تغطي الأرض.¹ وفي منتصف القرن العشرين وفي إطار بعثة تحريرات أثرية قادها آثاريون فرنسيون تم توثيق الجزء المتبقى من سور البصرة.² وما بين 1980 و 1984 قاد فريق أمريكي تحت إدارة شارل ريدمان عمليات تنقيب³ ومسوح جيوفизيائية⁴ داخل الموقع، تلتها خلال تسعينيات القرن الماضي (سنوات 1990 و 1994 و 1995 و 1998 و 1999 و 1999) خمس بعثات أثرية أشرف على إدارتها فريق

1. Charles Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane* (Paris: Imprimerie Nationale, 1878), 160.

2. Daniel Eustache, “El-Basra, Capitale idrisside et son port,” *Hespérus* 42 (1955): 233-34.

اندرجت بعثة الفريق الفرنسي في إطار برنامج للتحريات الأثرية على السواحل الأطلantique أعطى انطلاقتها هنري طيراس وقادها أرمون لوكي.

3. Charles Redman, “Survey and Test Excavation of Six Medieval Islamic Sites in Northern Morocco,” *Bulletin d’Archéologie Marocaine* 15 (1983-1984): 361-66.

4. Patrice Cressier, “Prospection géophysique sur le site médiéval d’al-Basra,” *Bulletin d’Archéologie Marocaine* 15 (1983-1984): 361-66.

من الباحثين المغاربة والأمريكيين من المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث وجامعة جورج واشنطن.⁵ ومكنت الحفريات التي شهدتها الموقع من الخروج بنتائج هامة بفضل البقايا الأثرية المكتشفة واللقمي الخزفية المستخرجة. يهدف هذا المقال إلى تسلیط الضوء على تاريخ البصرة من خلال النصوص التاريخية ونتائج الحفريات الأثرية والتحريات الميدانية.⁶

التسممية

سبب تسميتها بالبصرة غير معروف على وجه التدقيق، فالمصدر التاريخي الوحيد الذي تعرض لقضية التسممية هو وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الذي أخبرنا بأنها سميت بالبصرة تذكيراً ببصرة بلاد العرب التي قتل فيها رابع الخلفاء الراشدين وجده إدريس الأعلى.⁷ وعلى الرغم من اللبس الذي يكتنف أمر مكان مقتل علي في هذه الرواية [البصرة بدل الكوفة]⁸ فمن الواضح أن صاحب وصف إفريقيا يربط تسمية بصرة المغرب ببصرة العراق. كما أن دور بصرة العراق كقاعدة للشيعة من جهة وارتباط أصول الأدارسة بعلي بن أبي طالب من جهة أخرى قد يكون من الأسباب التي جعلت الأدارسة يفضلون اسمها بدلاً من أسماء أخرى.⁹ وتتجدر الإشارة إلى أنه وإلى جانب راشد كان مع إدريس مرافق آخر في رحلته من الحجاز نحو المغرب كان أصله من بصرة العراق.¹⁰ وبالتالي فمن المحتمل أن تسمية المدينة قد يكون جاء بناء على اقتراح من مرافق إدريس لشووها إلى مدينة البصرة. كما أن أقدم دليل مادي اكتشف بالبصرة هو درهم يعود لمرحلة وصاية راشد، ضرب سنة 180هـ/797-796م¹¹ وهو ما يجعل فرضية تأسيس المدينة خلال هذه المرحلة وارداً و يجعلنا نتصور أن اقتراح التسممية كان من ورائه راشد.¹²

5. Nancy L. Benco, “Al-Basra in Historical and Archaeological Perspective,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 6.

6. أنسجز جزء من هذه الدراسة في إطار بحث أطروحة أعدناه تحت إشراف الدكتور محمد المغراوي. المصطفى أتق، “خزفيات البصرة: دراسة تاريخية وأثرية” (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2013).

7. الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة من الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، الجزء الأول (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1980)، 241.

8. أبو جعفر محمد بن حرير الطبرى، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الخامس (القاهرة: دار المعارف، 1968)، 144-145.

9. يقول المقدسي في كتابه *أحسن التقاسيم*: “وأكثراً أهل البصرة قدرية وشيعة وثم حنابلة.” شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي المعروف بال بشاري، كتاب *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* (بيروت: دار بيروت، 1987)، 58.

10. مجموعة من الباحثين، *تاريخ المغرب تحين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي* (الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، 2011)، 157.

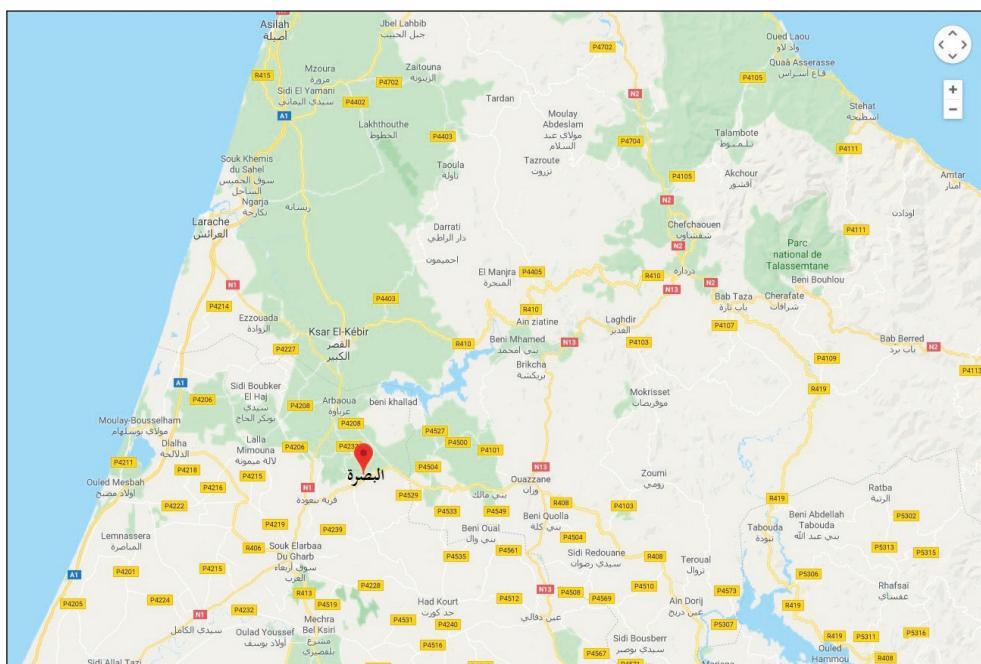
11. Daniel Eustache, *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*. Collection de la Banque du Maroc 5 (Rabat: Banque du Maroc, 1970-1971), 109.

12. Chafik T. Benchekroun et Ludovic Liétard, “Les Idrissides à la lumière de *fulūs* frappés à Volubilis et Tahert,” *Arabica* 62 (2015): 739.

ومن جهة أخرى، فإن وجود علاقات تجارية تعود إلى القرن الأول الهجري بين تجار من بصرة العراق وسكان المغرب ليعتبر دليلاً على افتتاح المغرب على شبه الجزيرة العربية خلال القرون الأولى للإسلام، ويفسر بالتالي مسألة تأثره بجوانب من ثقافة المشرق بما في ذلك أسماء الأماكن، حيث ترد عند ابن حوقل إشارة تؤكد على استقرار تاجر من بصرة العراق سجلها. ¹³

الموقع

تقع البصرة في الشمال الغربي من المغرب على بعد 40 كيلومتر من الساحل الأطلسي و 20 كيلومتر إلى الجنوب من مدينة القصر الكبير، وتحتقرها الطريق الوطنية رقم 13 الرابطة بين سوق الأربعاء غرباً وزان شرقاً، (اللوحة 1). ¹⁴ ويعطي الجزء الشمالي من موقع البصرة حالياً مدشر يحمل اسم جعاونة البصرة، أي أن اسم المدينة ما زال متداولاً إلى يومنا هذا. ولم يتبق من آثار الموقع البدوية على السطح سوى جزء من سور الذي كان يحمي المدينة بالشمال الغربي ومقبرتي المدينة بالشمال الغربي وبالشرق، (اللوحتين 2 و 3).



اللوحة 1: موقع البصرة على الخريطة، (المصدر: Google Earth)

13. محمد أبو القاسم بن حوقل، *صورة الأرض* (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1979)، 65. “سكنها (أي سجلها) أهل العراق وتجار البصرة والكونفنة وتجار بغداد الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم وأولادهم وتجارتهم دائرة ومفردتهم دائمة، وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسمية، ونعم سابقة.”

14. Georges Yver, “AL-Basra,” in *L’Encyclopédie de l’Islam*, vol. I (Leyde-Paris: E.J. Brill- G.-P. Maisonneuve & Larose S.A., 1975), 1120.

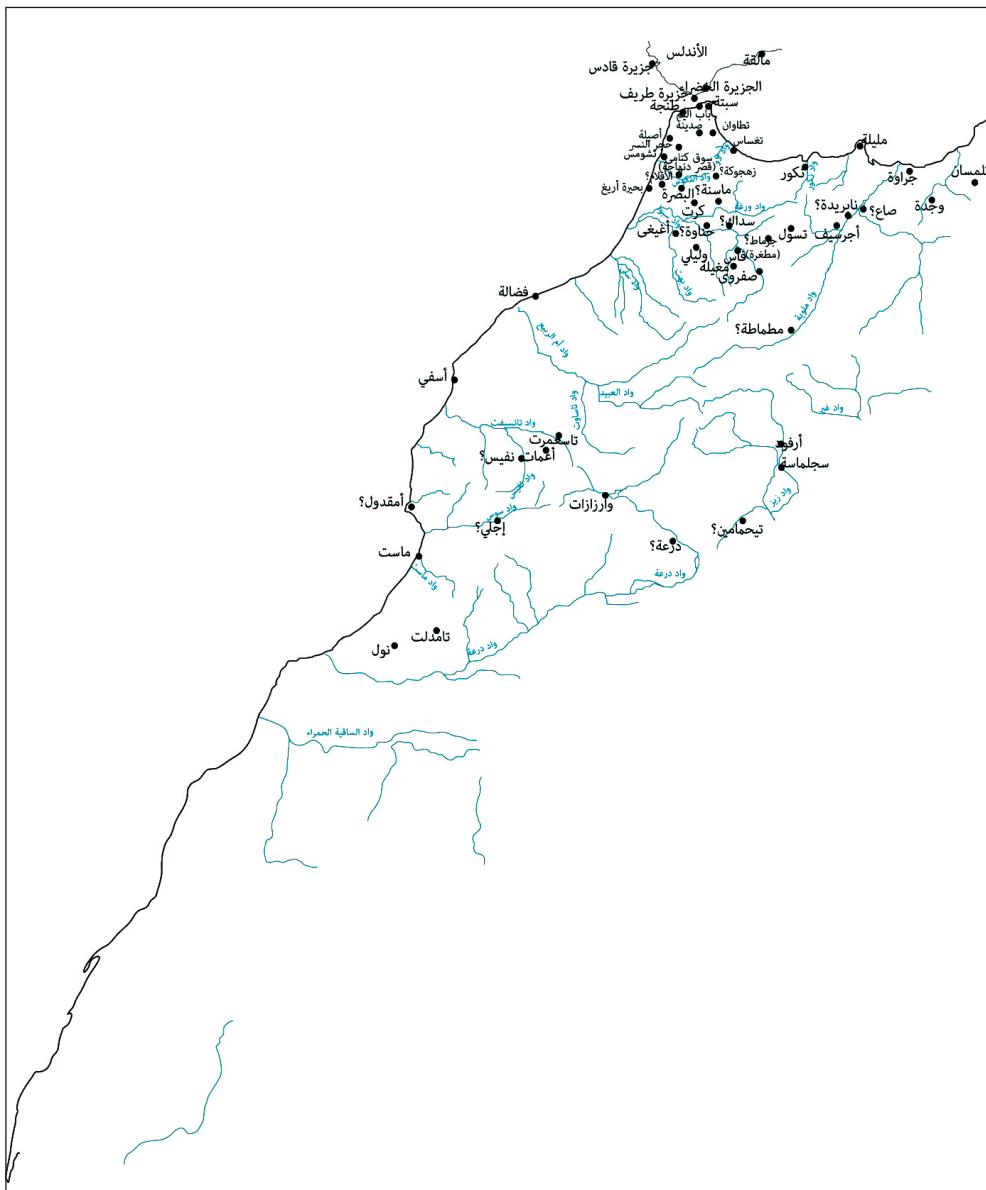


.اللوحة 2: صورة جوية لموقع البصرة، (المصدر: Google Earth)



اللوحة 3: صورة لموقع الطريق الرابطة بين وزان وسوق الأربعاء ويفطي حيزه الشمالي مدشر جعاونة البصرة مع آثار ما تبقى من سور في أعلى الصورة يسارا.

وعلى الرغم من اختلاف المصادر التاريخية حول المسافات التي تفصل البصرة عن كبريات المدن الآهلة آنذاك بالغرب إلا أنهم اتفقوا على تحديد موقعها بشكل عام في المنطقة الشمالية الغربية للمغرب، (اللوحة 4).



اللوحة 4: أهم مدن المغرب في العصر الوسيط المبكر حسب كتاب المسالك والمالك للبكري.

التضاريس والمناخ

اعتماداً على المعلومات الواردة في النصوص التاريخية، تقع البصرة في منبسط محاط بسهول واسعة يحدها جبالان، ينبع منها واد يصب في واد سفدد (اللكوس).¹⁵ أحد الجبلين

15. عن سفدد يخبرنا كل من ابن حوقل والإدريسي بأنه واد كبير يمر بمحاذاة مدينة تسمى (الكسوس العتيقة) وبأنه يتشكل بالتحام رافدين أحدهما ينبع من الجنوب بمنطقة دهاجة بجبل البصرة والثاني من منطقة كاتمة. محمد أبو القاسم بن حوقل، كتاب المسالك والمالك (لدين: مطبعة بريل، 1872)، 54؛ الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان

اسمه صرصر ويبعد عنها بثمانية أميال (12.91 كلم).¹⁶ ولتربة البصرة لون أحمر أعطاها لقب الحمراء، أما هواؤها فمعتدل وصحي.¹⁷

تتوافق هذه المعلومات على قلتها بشكل كبير مع الوضع الجغرافي والطبيعي الحالي؛ ذلك أن البصرة تقع فعلاً بمنطقة سهلية واسعة تحدّها سلسلة مقدمة جبال الريف من الشرق. ويقع جبل صرصر الذي ورد ذكره عند ابن عذاري إلى الشمال الشرقي من البصرة على المسافة نفسها التي ذكرها المؤرخ أي (ثمانية أميال)، وما يزال الجبل يحمل نفس الاسم إلى يومنا هذا.¹⁸ أما الجبل الثاني المجاور لصرصر والذي لم يرد اسمه، فقد يكون جبل الدهري الواقع إلى الشمال الغربي من صرصر. وقد جاء عند ابن حوقل¹⁹ أن بالقرب من الجبلين توجد شعبة كثيرة الماء تصب بواد سفدد (اللوكوس) وهو ما يتطابق مع المجرى المائي المتعدد الذي تسيل على منحدرات جبلي صرصر والدهري والتي تشكل شبكة مائية تمتد في اتجاه الشمال، لتخترق بلد كتامة وتصب في واد اللوكوس. ويؤكد ابن عذاري على غزارة مياه جبل صرصر ويضيف أن الشمار به كثيرة أيضاً.²⁰ ما يزال هذا الوضع الطبيعي سائداً إلى يومنا هذا، ذلك أن المنطقة الواقعة بين صرصر واللوكوس تخترقها الينابيع المائية وتكسوها الأشجار المشمرة بها في ذلك أشجار الزيتون، (اللوحة 5).

ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (لدين: مطبعة بريل، 1968)، 169. يقول ابن حوقل: "يمد سفدد شعبتان تقع إليه، أحدهما من بلد دهاجة من جبلي البصرة والثانية من بلد كتامة." ويضيف البكري: "سوق كتامة وهي قاعدة إدريس بن القاسم بن إبراهيم كبيرة شريفة على نهر واولوكس لها سوق عامرة وجامع ثم تسير إلى قصر دهاجة وهو على تل وتحته نهر عظيم وفيه آثار للأول وفيه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدهر وجبل صرصر يقبل هذا القصر." أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، الجزء الخاص بالغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الجزء الثاني (قرطاج: بيت الحكم، 1992)، 789. من خلال وصف الجغرافيين يتضح بأن نهر سفدد هو اللوكوس الحالي وبأن رافده الشمالي يحمل نفس الاسم اللوكوس ورافده الجنوبي هو واد المخازن الحالي.

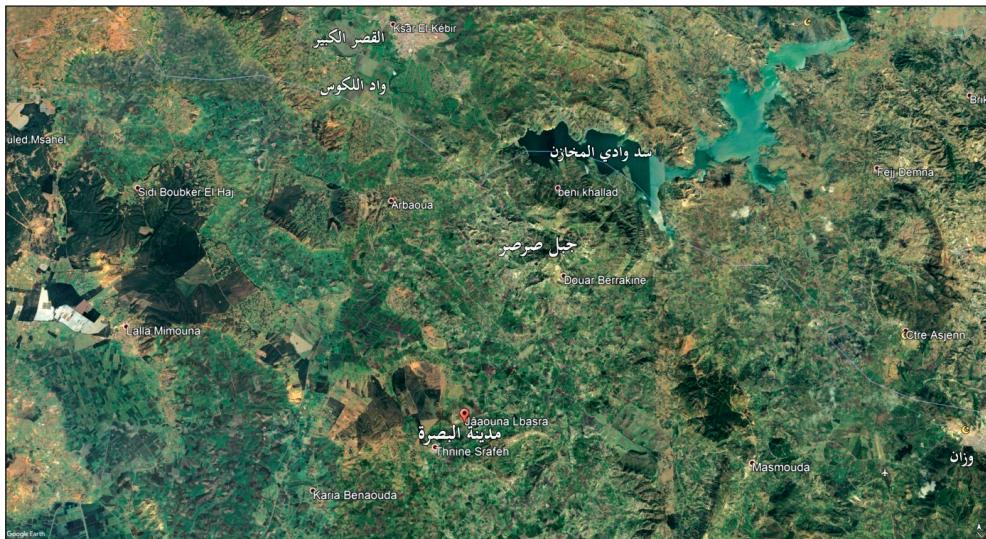
16. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء 1، تاريخ إفريقيا والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع المجري. تحقيق ومراجعة جورج. س. كولان وإفاريست ليفي بروفنسال (بيروت: دار الثقافة، 1948)، 235.

17. يقول عنها البكري: "وتعرف أيضاً بالحمراء لأنها حمراء التربة." البكري، المسالك والممالك، 789؛ ويصف ابن حوقل هواءها بالصحيح، ابن حوقل، المغرب وأرض السودان، 54؛ وينعنه الشريف الإدريسي بالمعتدل، الإدريسي، كتاب المسالك والممالك، 169.

18. ابن عذاري، البيان المغرب، 235.

19. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 54.

20. ابن عذاري، البيان المغرب، 235.



اللوحة 5: صورة جوية تبرز شساعة المساحات الخضراء وكثرة مصادر الماء حول البصرة،
(المصدر : Google Earth).

ومن جهة أخرى، فإن استخدام عبارة “جبلى البصرة” عند ابن حوقل يفيد بأن الأرضي التابعة للبصرة، بما في ذلك الجبلين المذكورين والبعدين بحوالي 13 كيلومتر عن مركز المدينة، كانت أراضٍ تمتد على مساحة كبيرة.²¹ اتساع ضواحي البصرة لتشمل السهل والجبل يظهر أيضاً في رواية ابن عذاري الذي يخبرنا بشدة جمال هذه الضواحي مما جعلها تستقطب النساء الأدارسة ليقيموا بها في الصيف.²² وبالنسبة لللون التربة الأحمر الذي أعطى المدينة لقب الحمراء، فيمكن لمسه اليوم بضواحي الموقع حيث تمتد أراضٍ تربتها حمراء كما توضّح الصورة أسفله الملقطة لمقلع يوجد بغرب الموقع، (اللوحة 6).

أما هواء البصرة فهو حسب ابن حوقل²³ صحيح وحسب الإدريسي معتدل.²⁴ تنطبق هذه الأوصاف على المناخ المتوسطي السائد بالمنطقة حتى يومنا هذا حيث يبلغ معدل التساقطات الحالي في منطقة البصرة ما بين 700 و800 ملم سنوياً ويغلب على جوها حالة الاعتدال.²⁵

21. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 54.

22. ابن عذاري، البيان المغرب، 235.

23. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 54.

24. الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 169.

25. Michelle Loyet, “Food, Fuel and Raw Material: Faunal Remains from al-Basra,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 22.



اللوحة 6: مقلع جعون حيث يتم استخراج التراب الأحمر غرب البصرة.

التأسيس

يكتنف الغموض أصول المدينة خاصة وأن المعلومات الواردة في المصادر التاريخية لا تمكن من معرفة اسم مؤسس المدينة أو تاريخ تأسيسها²⁶ إذ يكتفي ابن حوقل بذكر خصوصيتها لأبناء إدريس.²⁷ ويشير ابن عذاري إلى تولية محمد لأخيه على البصرة بعد وفاة والده إدريس بن إدريس سنة 213هـ/829م، مما يدل على أن المدينة كانت موجودة في عهد إدريس الثاني.²⁸ ومن الأدلة التي تزكي هذا الطرح، العثور على درهمين إدريسيين ضربا بالبصرة أحدهما تحت وصاية راشد بتاريخ 180هـ/797م، والثاني تحت حكم إدريس الثاني مؤرخ بـ 197هـ/813م.²⁹ إلا أن هاتين القطعتين لوحدهما لا تعطيان بدقة تاريخ التأسيس واسم المؤسس.³⁰ وبخصوص نواة المدينة، من الباحثين من افترض إطلاق اسم البصرة المشرقي على تجمع سكني قديم تطور ليتحول إلى مدينة في عهد الأدارسة.³¹

26. Ahmed Siraj, “Vie et mort d’une ville islamique. A propos du phénomène urbain dans le Maroc idrisside septentrional,” in *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, ed. Patrice Cressier et María García Arenal (Madrid: Casa de Velázquez et Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1998), 291.

27. ابن حوقل، *كتاب المسالك والممالك*، 72.

28. ابن عذاري، *بيان المغرب*، 103.

29. Henri Lavoix, *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Espagne et Afrique* (Paris: Imprimerie Nationale, 1891), 374-75, pl. VII, no. 894. Eustache, *Corpus*, 109 et 160. Eustache, “El-Basra,” 229.

30. عبد العزيز توري، “البصرة،” *معلمة المغرب*، الجزء الرابع (الرباط: الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، 1253)، 1991.

31. Henri Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l’établissement du Protectorat français*, vol. 1 (Casablanca: Éditions Atlantides, 1949), 61.

فوصف البصرة بالأزلية الذي ورد عند ابن عذاري، مرتبط لدى مؤرخي العصر الوسيط بالمدن المنشأة قبل الإسلام مثل وليلي. وإن احتمال وجود آثار بناه قديم تحت أنقاض المدينة الإسلامية يظل وارداً، خاصة وأن الموقع يوجد في قلب المغرب الروماني (موريطانيا الطنجية) داخل المثلث المشكّل من طنجة وسلا ووليلي.

وقد اقترح شارل تيسو (Ch. Tissot) في بحثه عن الواقع الروماني لموريطانيا الطنجية الواردة في مسار أنطونيان (Itinéraire Antonin)، أن يكون موقع البصرة هو ذاته موقع تريمولي (Tremulae) الروماني،³² خاصة وأن ذكر هذا الأخير في المسار يأتي بين موقعي القصر الكبير (Oppidum Novum) وسوق الأربعاء (Vopisciana?)، أي في المنطقة حيث توجد البصرة كما هو موضح في الخريطة أسفله، (اللوحة 7). إلا أنه ليس هناك أي دليل مادي يثبت هذه الفرضية لحد الآن، علماً بأن باحثين آخرين اقتربوا توطيئاً موقع تريمولي الروماني بأراضي عرباوية الحالية بدلاً من البصرة.³³

من الممكن افتراض وجود نواة للمدينة قبل مجيء الإسلام تحت اسم آخر، وبقدوم الأدارسة أطلقوا عليها اسم البصرة فأعادوا لها بريقها القديم بتوسيعها وتعزيز عمارتها على حساب البناءات القديمة التي طمرت تحت بديلتها الجديدة على غرار مدينة وليلي مثلاً، خاصة وأن عملية التأريخ بواسطة الفحم المشع 14C التي أجريت بالمستويات الأثرية السفلى بالبصرة قدّمت تاريخاً يعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين.³⁴ لكن ما يعزز صحة هذه الفرضية هو غياب أدنى أثر يعود للمرحلة الرومانية أو إلى مرحلة ما قبل الإسلام بشكل عام في الموقع. إذ لم تسفر دراستنا للقطع الخزفية المكتشفة بالبصرة والتي تعود بالآلاف عن آية قطعة مؤرخة بمرحلة ما قبل الإسلام، علماً بأن الخزف يعد من أبرز المؤشرات المعتمدة لتحديد أزمنة الاستقرار بالواقع الأثري.

وتظل أصول البصرة ونشأتها واسم مؤسسها من بين الجوانب التي يكتنفها الغموض، ويبقى التنقيب الأثري هو السبيل الأنفع الكفيل بإمامطة اللثام عنها. وأقدم دليلاً مادياً تم العثور عليه لحد الآن يبقى الدرهم الذي ضرب تحت وصاية راشد بتاريخ 180هـ/796-

32. Tissot, *Recherches*, 160.

33. Aomar Akerraz et René Rebuffat, “El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Ad Novas,” in *Actes du IV^e Colloque sur l’histoire et l’archéologie de l’Afrique du Nord*, 113^e Congrès national des Sociétés savantes, Strasbourg, 5-9 avril 1988, l’armée et les affaires militaires, 2 (Paris: CTHS, 1991), 408.

34. Abdelkrim Rimi, Donald H. Tarling and Sidi Otman el-Alami, “An Archaeomagnetic Study of two Kilns at al-Basra,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 95.

797³⁵ مـ وهو ما يفيد ببناء المدينة خلال هذه المرحلة المبكرة من عهد الأدارسة، ويتطابق أيضاً مع نتائج دراستنا الخزفية.³⁶



اللوحة 7: طرق موريطانيا الطنجية حسبما أورده أوزينات: ³⁷(Maurice Euzennat)

المعار والسكن

المعار

المعلومات التي وصلتنا عن معمار المدينة من النصوص التاريخية قليلة إذا ما قورنت مع أهمية البصرة ودورها السياسي كعاصمة لبعض أمراء الأدارسة. ومن بين الإشارات

35. Eustache, *Corpus*, 109 et 160.

.36. أنت، "خزفيات،" 230

37. Maurice Euzennat, "Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin," *Latomus* 62 (1962): pl. CXXX.

التي وصلتنا، قول الإدريسي أن البصرة كان لها قرى وعمارات،³⁸ مما يدل على أنها قد شكلت مركزاً حضرياً هاماً محاطاً بالقرى المرتبطة بها. وهو ما يؤكدده ابن عذاري الذي يصف عماره البصرة بالكثيرة³⁹ وابن خلدون الذي ينعتها بالعظيمة⁴⁰ والحسن الوزان الذي يؤكد بأن البصرة كانت متحضررة جداً.⁴¹

وعلى الرغم من ذلك، فقد اختلفت النصوص، في تحديد مساحة البصرة، فمنها التي تحدث عنها بوصفها مدينة كبيرة⁴² وأخرى نعتها بالمقتصدة.⁴³ النعت الأول (المدينة الكبيرة) يدل على الازدهار الذي عرفته خلال حكم الأدارسة، وهو ما يزكيه الحسن الوزان الذي يقول عنها: ”وكانت متحضرة جدا طوال حكم الأدارسة.“⁴⁴ أما وصفها بالمقتصدة فقد يكون تعبيرا عن حال المدينة الذي آلت إليه أواخر حكم الأدارسة حيث كان المغرب يعيش وضعيا مضطربا نتيجة تنازعه من قبل الفاطميين والأمويين. ويمكن أن نفترض هذا الاختلاف أيضا باختلاف أسس التصنيف الخاص بالمدن لدى الرواة، فلعل الذين وصفوا البصرة بالكبيرة جاء بعد أن قارنوها بمدن أصغر منها، وأولئك الذين نعثوها بالمقتصدة قارنوها بمدن أكبر.⁴⁵ ويضيف المقدسي والبكري إلى وصف ”كبيرة“ وصف ”عامرة“⁴⁶ ووصف ”واسعة“⁴⁷ وكلها أوصاف تدل على أهمية المدينة وحجم عمرانها. ومن الناحية الأثرية نسوق مكونات المدينة المعمارية على النحو التالي:

38. الادريسي، المغرب وأرض السودان، 169.

³⁹ ابن عذارٍ، السان المغبٌ، 268.

40. عبد الرحمن بن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالغرب وهو القسم الأخير من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر. الجزء الأول (الجزائر: دار الطباعة السلطانية، 1847)، 201.

.41. الوزان، وصف إفر يقيا، 241

42. ورد نعت “كبير” في مجموعة من المصادر ذكر منها: الاصطخري في كتابه المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العالى الحيني (القاهرة: وزارة الثقافة المصرية، 1961)، 34؛ المقدسي، كتاب أحسن التقاسيم، 190؛ البكري، المسالك والممالك، 789؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 103؛ مؤلف مجھول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (الدار السypsاع: دار النشر المغربية، 1985)، 189.

43. ينبع البصرة بالمقتصدة كل من: ابن حوقل، كتاب المسالك والمالك، 54 والإدريسي، المغرب وأرض السودان، 169. في حين يصفها ياقوت الحموي تارة بالمقتصدة وتارة أخرى بالكبيرة. شهاب الدين أي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. معجم البلدان، الجزء الأول (بيروت: دار صادر، 1977)، 440-441. ويصف الحسن الوزان الرقعة التي تمتد عليها بالصغرى. الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا؛ ترجمه من الفرنسيّة محمد حجي و محمد الأخضري، الجزء الأول، (الباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والتثقيف والنشرة ، 1980)، 240.

⁴⁴ الهُزَان، وصف إف بقا، 241.

45. أحد صالح الطاهري، نور الدين مفتاح وإبراهيم البدوي، “مدينة البصرة من خلال المصادر التاريخية والمخلفات الأثرية”， ضمن الواقع الأثري في منطقة الغرب بين البحث العلمي والبعد التنموي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 9 (القطر، قسم شهادة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2007)، 79.

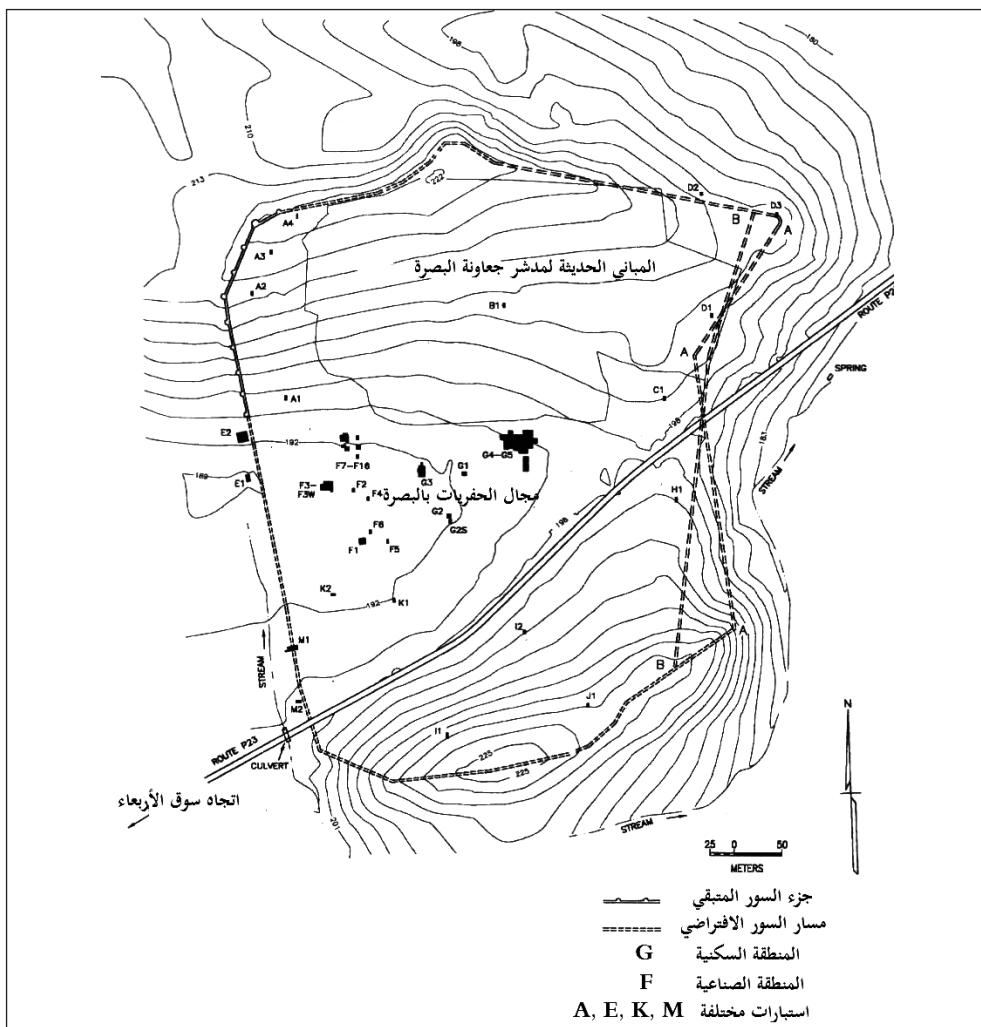
(القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007)، 79.

46. المقدسی، کتاب أحسن التقاسیم، 190.

47. البكري، المسالك والممالك، 789.

السور

مكنت التنقيبات الأثرية من الكشف عن مدينة متعددة على مساحة تصل إلى 35 هكتاراً وهو ما يتطابق مع النصوص التي وصفتها بالمدينة الكبيرة.⁴⁸ كما مكنت هذه الابحاث من التعرف على شكل الموقع البيضاوي⁴⁹ وتحديد منطقة صناعية في غربه وأخرى سكنية بوسطه، (اللوحة 8).⁵⁰



اللوحة 8: تصميم موقع البصرة الأثري، رسم جيمس فرانكلين⁵¹ (James Franklin)

48. الطاهري، مفتاح والبدوي، ”مدينة البصرة“، 76.

49. الطاهري، مفتاح والبدوي، ”مدينة البصرة“، 80.

50. Benco, “Al-Basra in Historical,” 6-7; Saïd Ennahid, “Political Economy and Settlement Systems of Medieval Northern Morocco: an Archaeological Historical Approach” (Dissertation Presented in Partial Fulfilment of the Requirements of Philosophy, Arizona State university, 2001), 153.

51. Nancy L. Benco, James E. Franklin and Azzedine Karra, “Al-Basra’s Fortification Walls and Towers,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 11.

وتمكن الباحثون من تبع مسار السور المندثر بمحيط المدينة من خلال المقطع المتبقى بالشمال الغربي بطول 242 متر والأساسات المكتشفة واعتمادا على الصور الجوية والمسح الجيوفيزيائي.⁵² ويتبين من خلال مساره حول المدينة أنه كان بطول 2.5 كلم؛ تعلو الجزء القائم ثمانية أبراج نصف دائيرية، يبلغ معدل أقطارها أربعة أمتار ويبعد الواحد منها عن الآخر بمسافة تتراوح ما بين 17.41 متر و22.40 متر. واعتمادا على الأجزاء المتبقية من السور، من المحتمل أنه كان معززا بهائة برج. ويبلغ ارتفاع أعلى برج متبق 4.3 متر، ومن المحتمل أن علو الأبراج الأصلي كان هو ثمانية أمتار.⁵³ وقد شيد السور بأحجار متوسطة الحجم ثبتت بملاط غني بالجير وبالتربة الكلسية، (اللوحة 9).



اللوحة 9: صورة لسور البصرة وأحد أبراجه النصف دائيرية.

اتفقت النصوص على أن السور كان مبنيا بالحجارة والطوب، ويضيف صاحب كتاب الاستبصار بأنه كان يحمر من بعيد.⁵⁴ وهو ما يؤكده الحسن الوزان الذي يقول: ”كان لهذه المدينة أسوار جليلة عالية“⁵⁵ وتأكيدا على ممتازتها يضيف بأن البصرة لما خربت لم يبق قائما منها غير الأسوار.

انفرد ابن الأثير بإشارة هامة تفيد بأن سور البصرة بناء أحد الأمراء الأمويين بالأندلس.⁵⁶ وقد يكون هذا التشيد عبارة عن إعادة بناء أو تدعيم للسور الأصلي، بغية

52. Benco, Franklin and Karra, “Al-Basra’s Fortification,” 11.

53. Ibid., 13.

54. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189.

55. الوزان، وصف إفريقيا، 241.

56. Ibn El-Athir, *Annales du Maghreb et de l’Espagne*, traduite et annotée par Edmond Fagnan (Algiers: Typographie Adolphe Jourdan, 1898), 379.

حماية المدينة من مخاطر الغزو، خاصة وأن التزاع بين الأمويين بالأندلس والفااطميين بإفريقية كان على أشدّه خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وكان مسرحه المغرب. وتعتقد الباحثة بينكو بأن سور البصرة قد عُرِفَ إعادة بناء، بعد تخرّبِه من قِبَلِ بلکین، وتؤرخ البناء الأول بـ 801هـ/183م والبناء الثاني خلال التوسيع المرابطي بالغرب خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.⁵⁷ إلا أنه لا يتوفر حالياً أي دليل أثري أو نصي يؤكد هذا الطرح.

الأبواب

كانت للمدينة عشرة أبواب، وأول من أعطى هذه المعلومة هو صاحب كتاب الاستبصار،⁵⁸ وقد نقلها كل من ياقوت الحموي⁵⁹ وابن عذاري.⁶⁰ ويتناسب هذا العدد الكبير من الأبواب وطول السور الذي كان يحيط بالبصرة، ويدل على نشاط في حركة التنقل من المدينة وإليها. ويمكن استئمار الأبواب أمنياً كمنفذ لغادرة المدينة في فترات الحرب والحاصر. وإن وصف هذه الأبواب غير متوفّر في النصوص، كما أنه لم يعثر أثرياً لها لحد الآن عن بقائها تعطينا معلومات عنها.

الجامع والحمامات

ورد ذكر جامع البصرة عند البكري⁶¹ الذي أشار إلى توفره على سبعة بلاطات، وهو ما نقله أيضاً ابن عبد المنعم الحميري⁶² وابن عذاري.⁶³ وقد ورد في هذه النصوص الثلاثة أيضاً ذكر حمامين ينعتهما ابن عذاري بالكبيرين، مما يبرز درجة التحضر والتقدم العمراني الذي بلغته. وتتضمن رواية للحسن الوزان إشارة إلى أن البصرة كانت كثيرة المساجد.⁶⁴ وأن يتوفّر جامع على سبعة بلاطات في تلك المرحلة يعتبر دليلاً على أهميته واتساعه لعدد كبير من المصلين. وجدير بالذكر أن مسجد القرويين كان يضم هو الآخر سبعة بلاطات عند توسعه على يد الأمير الزناتي أحمد بن أبي السعيد سنة 345هـ/957م، على باع نوأة المسجد الأولى التي بنيت على يد فاطمة الفهرية سنة 245هـ/857م لم تكن تضم سوى

57. Benco, Franklin and Karra, "Al-Basra's Fortification," 9.

58. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189.

59. الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، 441.

60. ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

61. البكري، المسالك والمالك، 789.

62. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، 1975)، 51.

63. ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

64. الوزان، وصف إفريقية، 241.

أربعة بلاطات.⁶⁵ ومن المحتمل أن يكون جامع البصرة قد بني بنفس التقنية التي اعتمدت في بناء مساجد فاس في المرحلة الإدريسيّة باستعمال الحجارة وباعتئاد تصميم مكون من قاعة للصلوة ومن صحن مفتوح للوضوء ومئذنة لرفع الأذان.⁶⁶ ولا نملك تفاصيل عن موقع الجامع داخل المدينة ولا عن تاريخ بنائه، وبالنظر إلى مساحة البصرة الكبيرة فاحتياط توفرها على عدة مساجد وارد، كما يؤكّد ذلك الحسن الوزان.⁶⁷

المنازل

لم ترد عن منازل البصرة روایات تاريخية تصفها، إلا أن الحفريات الأثرية كشفت عن وجود بقايا حي سكني وسط الموقع بالمنطقة التي اصطلاح عليها من طرفبعثة بـG3. وقد عثر بها على منزل بلطت أرضية غرفته بالجص وصبغت جدرانه بلون أحمر، ومتزليين آخرين واسعين يضم كل واحد منها مجموعة من الغرف الصغيرة المستطيلة الشكل.⁶⁸ وشيدت هذه البناء على طراز الدور التقليدي بشمال إفريقيا من مجموعة من الحجرات المفتوحة على بهو مركزي مكشوف يربطه بالمدخل ممر متعرج.⁶⁹

مصادر مياه الشرب

كان ماء البصرة حسب روایتي البكري وابن عذاري⁷⁰ زعاقة واعتداد السكان الشرب من بئر تسمى ابن ذلفاء على باب المدينة. وجود المصدر الوحيد للماء العذب خارج سور المدينة كان يشكل خطراً عليها في حالة الحصار. وقد كشفت الحفريات عن وجود خزان مائي مدفون بالقرب من سور الغربي للمدينة، وعثر بزواياه على أعمدة حجرية وأثار الأقواس التي كانت تدعم السقف.⁷¹ وبني الخزان بنفس نوعية الحجارة التي شيد بها سور والأبراج.⁷²

65. يقول ابن أبي زرع بهذاخصوص: «وكان المسجد الذي بنته فاطمة المذكورة أربعة بلاطات وصحن صغير وجعلت محرابه في وضع الثريا الكبرى الآن». علي ابن أبي زرع، الأنبياء الطرب بروض القرطاس في ذكر أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، حرره وعلق عليه محمد اهاشمي الفلايلي، الجزء الثاني (الرباط: المطبعة الوطنية، 1936)، 30.

66. ابن أبي زرع، الأنبياء الطرب، 30.

67. الوزان، وصف إفريقيا، 241.

68. Benco, "Al-Basra in Historical," 7.

69. وفقاً للمعلومات التي أفادني بها الأستاذ أحمد صالح الطاهري مدير البعثة الأثرية المغربية للبصرة سنتي 1998 و1999، لم يتبق من الجدران، في حالات عديدة، سوى آثار مسارها المحفور في الأرض؛ مما يدل على أن اقلاع حجر بناءات البصرة لإعادة استعمالها في أماكن أخرى، قد طال الأساسات أيضاً. وتحكي الروايات الشفوية بأن أحجار البصرة قد استعملت خلال النصف الثاني من القرن العشرين في بناء مدينة سوق الأربعاء.

70. البكري، المسالك والمالك، 789 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

71. الطاهري، مفتاح والبدوي، "مدينة البصرة،" 80.

72. Benco, Franklin and Karra, "Al-Basra's Fortification," 13.

المقابر، (اللوحة 10).

إن النصوص الثلاثة التي ذكرت وجود جامع وحمامين هي نفسها التي انفردت بالحديث عن مقبرتين بالبصرة؛ حيث يخبر البكري⁷³ وابن عذاري⁷⁴ بوجود مقبرة كبيرة بشرق المدينة في جبل، ومقبرة غربية تعرف بمقدمة قضاعة، في حين يكتفي الحميري⁷⁵ بتحديد موقع المقبرة الكبرى في الشرق. ولا نعرف سبب وجود مقبرتين بدلاً من مقبرة واحدة، وهل استعملتا في وقت واحد أم في مراحلتين مختلفتين؟ وجود مقبرتين يدل من جهة على طول مدة الاستقرار بالمدينة، ومن جهة أخرى على الكثافة السكانية المهمة بها. وهذا ما يؤكده نص ابن عذاري⁷⁶ الذي يخبر بطول مدة البصرة وكثرة عماراتها.

اسم قضاعة الذي أطلق على المقدمة الغربية مقتبس من اسم إحدى قبائل شبه الجزيرة العربية، تماماً كما اقتبس اسم المدينة من بصرة العراق، مما يدل على أن اقتباس الأسماء المشرقة وإطلاقها على أماكن محلية كان ظاهرة سارية المفعول بالبصرة.

ومن الناحية الأثرية، ما تزال مدافن المقبرة الغربية بادية للعيان في حين تتدلى المقبرة الشرقية جزئياً تحت مدافن المقبرة الحالية لساكنة دوار الجعاونة. وتقع المقبرة الغربية إلى الشمال الغربي من الموقع على بعد 200 متر من سور المدينة، وتغطي مساحة قدرها 5.500 متر²، وقد اكتشف بها 103 قبراً.⁷⁷ وقد بنيت القبور على شكل بيضاوي أو شكل مستطيل بواسطة أحجار بعضها غير مشدبة، وأخرى دائرية.

أما بالنسبة للشواهد الجنائزية، لم يتم العثور إلا على ثمانية لا تحمل أية كتابة. فهل كان أصحاب القبور المتوفرة على شواهد من شخصيات المدينة المتميزة؟ أم أن ندرة الشواهد القبرية سببه إعادة استعمالها في البناء بعد هجر المقبرة؟

وتتدلى المقبرة الثانية على المنبسط والهضبة الواقعين شرق المدينة وتشقها الطريق الرئيسية التي تمر وسط البصرة. وقد غطي جزء منها بمقدمة الدوار الحالية، ويؤكّد السكان عثورهم باستمرار على بقايا هيكل عظيم بشرية قديمة أثناء حفر القبور لدفن موتاهم. احتفت بشكل جزئي معالم القبور المتواجدة على سفح الهضبة بتأثير من عوامل التعرية وأشغال الطريق التي أزالت جزءاً منها، في حين ما تزال قبور البقعة المنبسطة ظاهرة. وعلى الرغم من

.73. البكري، المسالك والممالك، 789.

.74. الحميري، الروض المطار، 51.

.75. ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

.76. نفسه، 268.

.77. Rachel Kluender, “Speaking Stones: Islamic Burial Practices at Al-Basra,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 61.

ذلك، يؤكّد امتداد هذه المقبرة الكبير المعلومات الواردة في النصوص التاريخية التي تصفها بمقبرة المدينة الكبيرة. ويتبين من المعاينة الميدانية أنّ هذه القبور تتخذ نفس الشكل الهندسي لمدافن المقبرة الغربية (شكل بيضاوي أو مستطيل) محاطة بأحجار صغيرة ومتوسطة الحجم، (اللوحة 16).



اللوحة 10: مقبرتي البصرة: الشرقية على يمين الصورة والغربية في الوسط واليسار.

السكان

ورددنا أهم المعلومات الخاصة بساكنة البصرة عن ابن حوقل والبكري.⁷⁸ وقد ركزت الروايات على محسن سكان البصرة الحقيقية والخلقية من حسن القددود واعتدال الخلق والجمال الرائق والميل إلى السلامة والعلم.

وقد وصف ابن حوقل الأغذية بالطيبة، والأسعار بالرخيبة، وأشاد برفاهية وخصب العيش. تفید هذه الأوصاف أن كل ميزات المجتمع المتحضر والمزدهر اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً كانت متوفرة في المدينة. وقد تعاقب على نقل روایتی ابن حوقل والبكري كل من الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار وياقوت الحموي وابن عذاري.⁷⁹

وكدليل على رفاهية العيش التي وردت في هذه النصوص التاريخية، ما تم اكتشافه بالموقع من حلي تتكون أساساً من أقراط الأذن والخواتيم والدمالج النحاسية والفضية والدرر الذهبية. كما تم العثور على عدة أدوات طبية نحاسية خاصة بالجراحة، مما يدل على احتضان المدينة لمعالجين أكفاء يتقنون علم الجراحة.⁸⁰

78. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 72؛ البكري، المسالك والممالك، 789.

79. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، 441؛ الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 169؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

80. Hasna Doukali, "Les objets métalliques d'al-Basra" (Mémoire de fin d'étude de l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine à Rabat, 2012), 72-128.

ونستشف من المعلومات المرتبطة بالنشاط الاقتصادي، والتي سنعرض لها في هذه الدراسة، أن مجتمع البصرة كان مجتمعاً منتجاً ونشيطاً يتكون من تجارة وفلاحين وصناع يتعايشون مع العلماء والأمراء المستقرين بالمدينة.⁸¹ واستقطبت المدينة الشعراً أيضاً مثل الشاعر أحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التيهرتي الذي نظم قصيدة يمدح فيها أبا العيش عيسى بن إبراهيم (بن القاسم) أحد أمراء البصرة.⁸²

وفيما يتعلق بتركيبة السكان، أخبرنا ابن عذاري بوجود عمارة عظيمة من البربر والأندلس بالبصرة.⁸³ ولعل انتهاء الساكنة إلى أصول أمازيغية وأندلسية يؤكّد متانة العلاقات بين المدينة والأندلس. وبالنسبة لعدد السكان يأْتى الحسن الوزان بأرقام عن وجود حوالي ألفي كانوان بالمدينة أي حوالي 20000 نسمة.⁸⁴ ومكنت عملية المسح الأثري التي أُجريت حول البصرة من اكتشاف 15 موقعاً مغطى بقطع خزفية، مما يدل على أن بادية المدينة كانت تعرف كثافة سكانية مهمة.⁸⁵ ويشير البكري في حديثه عن سبته إلى انحدار ببر المدينة من ناحية أصيلة والبصرة.⁸⁶ وتؤكّد هذه الإشارة مرة أخرى انفتاح البصرة على محيطها وارتباطها الوثيق بالمناطق الشمالية للمغرب. أما أبو الفداء فيتحدث عن وجود سكان من العلوين الأدارسة بالمدينة، مما يؤكّد دور البصرة كقاعدة هامة للأدارسة.⁸⁷

الاقتصاد

1. الفلاحة

كانت الفلاحة من بين الركائز الأساسية لاقتصاد المدينة، وهو ما يظهر من الروايات التاريخية التي أجمعـت على خصوبة أراضي البصرة وتنوع زروعها وكثرة ألبانها.⁸⁸ وساهمت شساعة السهول المحاطة بالمدينة وخصوصيتها وغزارـة مياه عيونها في خلق نشاط زراعي متميز. ولوفرة محاصيلها يصف البكري هذه الأراضي بالجنات الكثيرة العيون.⁸⁹ وقد

81. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 235.

82. البكري، *المسالك والممالك*، 806.

83. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 103.

84. الوزان، *وصف إفريقيا*، 241.

85. Saïd Ennahid, “Beyond al-Basra: Settlement Systems of Medieval Northern Morocco in Archaeological and Historical Perspective,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 83.

86. البكري، *المسالك والممالك*، 789.

87. أبو الفداء، *تقويم البلدان*، 133.

88. ابن حوقل، *كتاب المسالك والممالك*، 55؛ البكري، *المسالك والممالك*، 789؛ مؤلف مجهول، *كتاب الاستبصار*، 189؛ الحميري، *الروض المطار*، 51؛ الحموي، *معجم البلدان*، الجزء الأول، 440؛ الإدريسي، *المغرب وأرض السودان*، 169؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، 240.

89. البكري، *المسالك والممالك*، 789.

تنوع المتنوّجات الزراعية لتشمل القمح والشعير والحبوب والقطن، بالإضافة إلى غلات أخرى أجمعت المصادر على كثرتها. وكانت الزراعة تمارس في بساتين تقع شرق المدينة وفي حدائق وحقول كثيرة تعتمد في سقيها على منابع المياه العديدة بالمنطقة. ويمكن في هذا الصدد أن نفترض أن فلاح البصرة قد خطوا شبكة كثيفة ومنظمة من قنوات الري لسقي هذه المحاصيل.

وقد أثبتت التحليلات المخبرية التي أجريت على عينات من البذور المأخوذة من الطبقات الأثرية للبصرة عن وجود أنواع متعددة من المزروعات، وفي مقدمتها القمح والشعير والتين إضافة إلى أنواع أخرى وهي: البازلاء والعدس والفول والعنب والكرום. كما تم التعرف على أعشاب أخرى مثل الخرطال والدُخْن والقنْب الهندي.⁹⁰

ومن جهة أخرى، كانت مراعي البصرة هي الأوسع في كل النواحي المجاورة.⁹¹ كما اشتهرت بألبانها الكثيرة، مما يدل على وفرة في أعداد رؤوس الماشية الكبيرة التي كان يملكها السكان. ويخبرنا البكري أن البصرة كانت تلقب ببصرة الذبان لكثرة الألبان التي كانت تتجهها ماشيتها⁹² وهي المعلومة نفسها التي نقلها عنه أبو الفداء.⁹³

وأكّدت هذه المعلومات نتائج الأبحاث الأثرية التي أثبتت وجود كميات كبيرة من عظام الحيوانات بالموقع (28455 عظم)، في مقدمتها عظام الضأنيات مثل الأكباس، والبقرىات مثل الشيران والأبقار، والمعزيات مثل الماعز، والدواجن والأرانب، فضلاً عن عظام حيوانات أخرى أليفة ومدجنة.⁹⁴ ويبدو أن 97.6% من هذه العظام هي عظام ماشية موزعة بين الأبقار والضأن والماعز. وقد أظهرت الدراسة نفسها أن نسبة استهلاك الساكنة للحوم والأبقار تتجاوز لحوم الأنواع الحيوانية الأخرى بأربعة أضعاف، كما أن إنتاج الألبان واستهلاك كانا كبيرين كذلك. ومن جهة أخرى، من المعروف أن الأبقار تتطلب ظروف تربية خاصة على عكس الماعز، وقد كانت هذه الظروف متاحة بالبصرة بفضل المناخ المعتمل والمطر والأراضي السهلية الخصبة.

90. Ahmed Saleh Ettahiri, “La ville médiévale d’al-Basra et ses deux ports atlantiques (Maroc du Nord),” in *Rotte e porti del Mediterraneo dopo la caduta dell’impero romano d’occidente*, IV seminario, Genova, 18-19 Giugno 2004, ed. Lorenza De Maria e Rita Turchetti (Soveria Mannelli (Catanzaro): Rubbettino Editore, 2004), 16; Nancy Mahoney, “Economy and Environment at al-Basra: an Archaeological Analysis of a Medieval Islamic Urban Center” (Thesis for obtaining the Master of Arts, G. Washington University, 1994), 42; Nancy Mahoney, “Agriculture, Industry, and the Environment: Archaeobotanical Evidence from al-Basra,” in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 32.

91. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189.

92. البكري، المسالك والمالك، 789.

93. أبو الفداء، تقويم البلدان، 133.

94. Loyet, “Food,” 22.

2. التجارة

اعتمدت البصرة في اقتصادها كذلك على نشاط تجاري كثيف. وتفيد الإشارات الواردة في النصوص أن البصرة كانت لها علاقات تجارية متميزة مع المناطق المجاورة في المغرب وكذلك مع الأندلس وإفريقيا. كانت للبصرة عدة أسواق عامرة داخل المدينة نفسها، يصفها ابن حوقل بالحسنة.⁹⁵ وربطتها علاقات تجارية مع الجوار، فإلى الجنوب الغربي، كان تجار البصرة ينقلون البضائع إلى برغواطة في أوقات السلم،⁹⁶ ونحو الجنوب الشرقي كانوا يحطون الرحال بسوق حصن داي التي يصفها البكري بالحافلة والتي يجتمع بها، فضلاً عن تجار البصرة، تجار فاس وسجلماسة.⁹⁷

أما في علاقتها مع الأندلس، فقد استغلت البصرة موقعها القريب من البحر شمالي والمحيط شرقاً لترتبط علاقات تجارية متينة مع العدوة الشمالية.⁹⁸ ويضاف إلى ذلك وجودها ضمن الولاية الشمالية الغربية التي كانت تضم كذلك طنجة وسبتة وأصيلة الخاضعة للقاسم والأئبنة لمدة طويلة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.⁹⁹ وكان التجار ينقلون بضائعهم نحو الأندلس عبر مرسيين على المحيط الأطلسي، إحداهم بمصب واد اللوكوس قرب مدينة تسمس بمحاذاة العرائش الحالية والثانية ببحيرة أربع (المرجة الزرقاء) بالقرب من مركز مولاي بوسليمان الحالي، (اللوحة 11).¹⁰⁰

ورد عند ابن حوقل في شأن هذه التجارة أن أهل البصرة يحملون منقولاتهم التجارية على متن المراكب إلى البحر المتوسط (المحيط الأطلسي) ويعودون إلى البحر الغربي (البحر الأبيض المتوسط) فيسرون حيث شاءوا منه.¹⁰¹ أي أن التجار كانوا يعبرون المحيط شمالاً ثم يتوجهون، عند مضيق جبل طارق، شرقاً ليبحروا في البحر الأبيض المتوسط الذي يقودهم إلى الأندلس. ويتبين من هذه الرواية أن البصرة كان لها نشاط ملاحي على الرغم من وقوعها

95. ابن حوقل، صورة الأرض، 54.

96. نفسه، 57. يقول ابن حوقل عن برغواطة: "وكان أهل البصرة ومدينة فاس يغزوونهم في بعض الأوقات ويسالمونهم ويتجرون بهم التجارات." يدل وجود الروابط التجارية مع برغواطة في أوقات السلم فقط على تأثر العلاقات التجارية للمدينة بالأوضاع السياسية السائدة.

97. البكري، المسالك والممالك، 806.

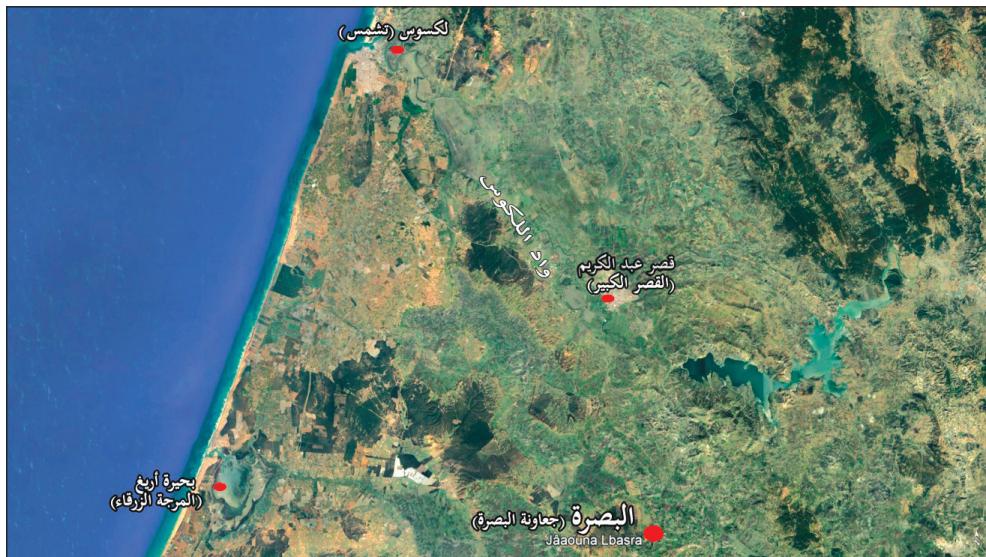
98. في سياق ذكره لبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) يعتبر الاصطخري هذا البحر خليجاً من البحر المتوسط بين الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة، وهو ما يؤكّد شهرة المدينة. فعل الرغم من وجودها داخل القارة فإن علاقاتها المتينة مع الأندلس جعلت الاصطخري يتخذها علامة في وصفه الجغرافي للبحر. ولعل ما يبرز مثابة هذه العلاقة تعبير الجغرافي التالي: "فلو أن رجلاً سار من البصرة على السواحل حتى يعود إلى ما يحاذيه من أرض الأندلس، لا يحتاج إلى أن يعبر نهرًا أو خليجاً أمكنه." وتدل هذه الشهادة أيضاً على أن تنقل الأشخاص بين البصرة والأندلس كان ميسراً للدرجة دفعت بالاصطخري إلى اتخاذ "سير الرجل بين البصرة والأندلس" مثالاً للتأكد على قرب المسافة بين العدوتين.

99. البكري، المسالك والممالك، 806؛ ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 287.

100. Ettahiri, "La ville," 157-69.

101. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 54.

داخل القارة على بعد 40 كيلومتر من الساحل. كان التجار المتوجهون نحو مرسى تشمس يحملون بضائعهم براً إلى أقرب نقطة تصلح للشحن على المراكب بواط اللوكوس.¹⁰² ومن المحتمل أن تكون هذه النقطة قرية من سوق كتامة أو قصر عبد الكريم (القصر الكبير) الواقع على اللوكوس والبعيد بحوالي 20 كيلومتر فقط عن البصرة.¹⁰³



اللوحة 11: مدينة البصرة بين مينائي تشمس وبحيرة أربعين، المصدر: (Google Earth).

كما أن العثور على عدد هام من القطع الفخارية المصنوعة بالبصرة حول القصر الكبير يؤكّد متانة العلاقات التجارية بين المدينتين.¹⁰⁴ من موقع منطقة القصر الكبير، قصر دنهاجة الذي كانت له أسواق غنية وتعمر على مقربة منه على نهر اللوكوس سوق كبيرة بحاضرة تعرف بسوق كتامة، مما يدل على رواج تجاري كبير على المحور القائم بين البصرة ومنطقة كتامة.¹⁰⁵ وبعد تشمس، يبدو أن المراكب كانت تبحر في المحيط بمحاذاة السواحل، ومن

102. يقول الإدريسي في هذا الصدد: «وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمعتهم حتى يصلوا البحر فيسيروا فيه حيث شاؤوا». الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 169.

103. حسب رواية للبكري: «قصر دنهاجة وهو على تل نحته... ثم تسير من هذا القصر إلى مدينة البصرة». «البكري، المسالك والممالك، 789؛ ووفقاً لرواية للشريف الإدريسي: «ومن تشمس إلى قصر عبد الكريم وهو على مقربة من البحر». الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 179.

104. Ennahid, "Political," 188.

105. وفقاً لرواية البكري: «حاضرة سوق كتامي وهي قاعدة إدريس بن القاسم بن إبراهيم كبيرة شريفة على نهر واولكس لها سوق عامرة وجامع ثم تسير إلى قصر دنهاجة». البكري، المسالك والممالك، 789؛ يقول الإدريسي: «وقصر عبد الكريم يسكنه قوم من البربر يسمون دنهاجة... وهي على نهر أولكس ويجري منها في جهة الجنوب وبينها وبين البحر نحو 28 من الأميال (...). وبها سوق عامرة وجمل صناعات». الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 78. ويقول في موضع آخر: «قصر عبد الكريم وهو على مقربة من البحر بينه وبين طنجة يومان وقصر عبد الكريم مدينة صغيرة على ضفة نهر لكس وبها أسواق على قدرها يباع بها ويشترى والأرزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل». الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان، 179.

المحتمل أيضاً أنها تتوقف في طريقها بمحطات معينة للاحتجار والاستراحة مثل أصيلا وطنجة وسبتة.¹⁰⁶

وكان لتجار البصرة طريق ثان يستخدمونه لنقل بضائعهم إلى الأندلس. ويمتد هذا الطريق براً بين المدينة وبحيرة أريغ البعيدة بحوالي 40 كيلومتر في اتجاه الغرب. ويقول ابن حوقل عن البحيرة أنها من أصل المحيط صغيرة يرسى فيها المراكب الأندلسية وفيها أيضاً يركب أهل البصرة ويشحنون.¹⁰⁷ المكان الوحيد الذي ينطبق عليه وصف ابن حوقل حالياً هو المرجة الزرقاء المتواجدة قرب قرية مولاي بوسليمان الحالية. كما أن الكلمة أريغ تعني بالأمازيغية الماء، وهو ما ينطبق على مذاق مياه هذه البحيرة المتصلة بالมหาيطة، علماً بوجود بركة مائية تتصل بالبحيرة شمالي تسمى حالياً بمرجة الملح لملوحة مياهها ومرارتها.

وقد اكتشف أرمون لوكي آثاراً لخصن كبير على بعد أمتار قليلة إلى الشمال من المرجة الزرقاء، تبلغ مساحتها 4000 م² ويبلغ عرض السور المحيط به 1.20 متر، وله شكل شبه منحرف يعلوه محرٌ للمراقبة ويتدخله باب يعلوه برجان مربع الشكل.¹⁰⁸ وتحتوي المساحة الداخلية من البرج على آثار درج يؤدي إلى أعلى السور وأساس بناء مستطيلة بالغرب. توجد في الجانب الغربي من السور حلقات حديدية مثبتة قد يكون الهدف منها تمكين المراكب من الرسو. وحسب الباحث دانييل أو سطاش فإن الأمر قد يتعلق بمخزن خاص بالبصرة أو ملحق بمرافقها على البحيرة.¹⁰⁹ وجود البناء على ضفاف البحيرة وعلى مقربة من قناة مائية واسعة متصلة بالمحيط خلف تلال مولاي بوسليمان التي تحميها من الرياح الغربية وبإمكانه التحمل، كلها عوامل تصب في اتجاه اعتبار المبني بمثابة جزء من مرفاً للمراكب.¹¹⁰

وما يؤكد الصلة التي تربط بين البصرة ومرفأها المحتمل، العثور بمنطقة المرجة الزرقاء على مجموعة من القطع الفخارية المطابقة لتلك الموجودة بالبصرة. بمعنى أن خزف المدينة كان يصل عن طريق التجارة لمنطقة سيدي بوسليمان الحالية، ومن المحتمل أيضاً أن

106. ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض (تطوان: معهد مولاي الحسن، 1958)، 172. يخبرنا ابن سعيد المغربي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بأن المغاربة كانوا يتقلون بين مصب سبو وكاب سبارطيل بمحاذاة السواحل ويتوقفون بمصب اللوكوس وبميناء أصيلا قبل الاتجاه شمالي نحو مضيق جبل طارق ثم البحر الأبيض المتوسط والانعراج شرقاً نحو سبتة.

107. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 56.

108. Eustache, "El-Basra," 219.

109. Eustache, "El-Basra," 219.

110. المصطفى البوعناني، "معالم مرفاً نهري على ضفة المرجة الزرقاء بمنطقة الغرب،" ضمن الواقع الأثري في منطقة الغرب بين البحث العلمي والبعد التنموي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 9 (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007)، 107.

جزءاً منه وخاصة الجرار كانت تستخدم لنقل السلع والمواد التي تتجهها المدينة من حبوب وسائل.¹¹¹

كانت ترسو بالبحيرة مراكب أندلسية يركب على متنها سكان البصرة ويشحنون عليها البضائع. يقول ابن حوقل: ”ترسو فيها المراكب الأندلسية وفيها أيضاً يركب أهل البصرة ويشحنون من نواحיהם وناحية بلد بياكه.“¹¹² وتأكد هذه الإشارة المهمة ما توصلنا إليه سالفاً حول التقارب الكبير بين ساكنة البصرة والأندلس، كما يدل على تنقل نشيط للأشخاص بين المنطقتين. ومن جهة أخرى، لم يكن تجار البصرة يكتفون بشحن سلعهم فقط على متن المراكب بل وسلع المناطق المجاورة أيضاً.

ويدل اعتماد البصرة في نقلها لبضائعها نحو الشمال على مرسيين على المحيط الأطلسي على أهمية المدينة وقدراتها الإنتاجية والتسويقية الكبيرة. ومن أبرز السلع التي اعتاد تجارة البصرة على نقلها، المحاصيل الفلاحية الكثيرة التي كانت تتجهها مزارع البصرة كالقطن والقمح. إلا أن أولى بضائعهم كانت الكتان لدرجة أن المدينة قد عُرِفت ببصرة الكتان،¹¹³ مما يدل على أن المدينة لم تكن غنية فلاحيًا وتجاريًا فحسب، بل وصناعياً أيضاً، ولعل نسج الكتان كان من أبرز هذه الصناعات.

ومن الأدلة الأخرى التي تؤكد متانة العلاقات التجارية بين البصرة والأندلس العثور في البصرة على قطع فخارية أندلسية من نوع الحبل الجاف (*cuerdaseca*، والخزف المزجج الشبيه بخزف مدينة الزهراء.¹¹⁴ كما عثر بالمدينة على عدة قطع نقدية فضية ضربت بالبصرة باسماء أمراء أمايين وأدارسة.¹¹⁵

ولم تقتصر العلاقات التجارية للبصرة على المغرب والأندلس بل تعدتها لتشمل إفريقية أيضاً، وهو ما يؤكد ابن حوقل الذي يشير إلى نقل تجار البصرة لغات كثيرة من القطن إلى إفريقية.¹¹⁶ ويمكن أن نتوقع بأن قوافل البصرة التجارية وقبل وصولها لإفريقية كانت

111. Ennahid, “Political” 188; Eustache, “El-Basra,” 235.

112. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 56.

113. البكري، المسالك والممالك، 789؛ مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189؛ الحميري، الروض المعطار، 51؛ الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، 440؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

114. Nancy L. Benco, *The Early Medieval Pottery Industry at al-Basra, Morocco* (Oxford: BAR International Series, 1987), 140; Saïd Ennahid, “Contribution à l’étude de la céramique d’al-Basra, Maroc” (Mémoire de fin d’études de l’Institut National des Sciences de l’Archéologie et du Patrimoine à Rabat, 1992), 119.

115. Nancy L. Benco, Ahmed Saleh Ettahiri et Nourredine Meftah, “Recherches sur la numismatique du Maroc islamique: étude préliminaire des monnaies umayyades d’al-Basra,” *Bulletin d’Archéologie Marocaine* 20 (2004): 347-64.

116. ابن حوقل، كتاب المسالك والممالك، 54.

تعرض بضائعها بالمحطات التي تعبّرها في طريق الذهب وتتنزّه منها بالسلع في طريق العودة لبيعها بالمغرب. كما أن اكتشاف الخزف على طول الطرق التجارية للبصرة وحول مراكز شحن البضائع بالقرب من المراجة الزرقاء والقصر الكبير، يؤكّد أن الخزف لم يكن موجهاً للاستهلاك الداخلي فقط، بل وللتصدير أيضاً.¹¹⁷

3. الصناعة

لا تتحدث المصادر عن أنواع الصناعات النشطة بالمدينة، وتبقى الإشارة الوحيدة التي لها علاقة بـمجال التصنيع هي تلك التي ارتبطت بكتان البصرة الوارد ذكره باعتباره مادة تجارية وليس كمنتج صناعي.¹¹⁸ إلا أن تركيز المصادر على الكتان باعتباره من أهم المواد التجارية بالمدينة لدرجة أنها كانت تعرف ببصّرة الكتان، يدل على وفرة هذه المادة، ويدفعنا لافتراض وجود مشاغل خاصة بإنتاج كتان محلي إلى جانب الكتان الذي اعتاد التجار على جلبها من مناطق أخرى.

ومن جهتها، مكنت الحفريات من الكشف عن محترفات غرب المدينة تصنّع بها منتجات خزفية ومعدنية وعَظِيمَة.¹¹⁹ وقد دفع اكتشاف فرنين للخزف (1F و3F) وآخر للجير بالقرب من السور الغربي للبصرة بالأثاريين إلى افتراض وجود "حي صناعي" في هذا الجزء من الموقع على اعتبار أن وصف المدينة الوسيطية الإسلامية في نصوص المؤرخين والرحالة والجغرافيين، غالباً ما يضع الأحياء الحرفية بالقرب من أسوار المدينة الشرقية لوقاية الساكنة من مضار الملوثات الناتجة عن الأنشطة الصناعية مثل صناعة الفخار والزجاج والمعادن.¹²⁰ إلا أن وجود هذه المحترفات غرب المدينة يطرح مشكل تعرّضها لأنبعاث الملوثات التي تدفع بها الرياح الغربية نحو الأحياء السكنية وسط المدينة. فهل يتعلق الأمر بآثار محدودة لنشاط حرفى معزول في مجال ضيق بالغرب، على اعتبار أن الحي الصناعي الحقيقي يجب البحث عنه شرق المدينة؟ التيقن من هذا الطرح رهين بمتابعة أشغال التنقيب بالموقع.

وارتباطاً بصناعة الخزف، تدل الكميات الهائلة من الفخار المكتشف بالبقعة المحدودة

117. Ennahid, "Political," 188.

118. البكري، المسالك والممالك، 789؛ مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، 189؛ الحميري، الروض المعطار، 51؛ الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، 440؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 103.

119. Benco, "Al-Basra in Historical," 4.

120. Abdallah Fili, "Quelques aspects juridiques de la production céramique d'après les textes arabes," in *Actas das 4.as Jornadas de cerâmica medieval e pós-medieval: métodos e resultados para o seu estudo*, Tondela, 24 a 27 de Outubro de 2000 (Porto: Câmara Municipal de Tondela, 2008), 539-40; Jennifer F. Hembree, "Pottery and Ethnic Change at al-Basra," in *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco (Oxford: BAR International Series, 2004), 48.

التي عرفتها الحفريات، ولا تتعدي مساحتها 10% من مساحة الموقع، على النشاط الكبير الذي عرفه الإنتاج الخزفي بالمدينة.¹²¹

وارتبط إنتاج الخزف بحجم الاستهلاك الداخلي الهام للساكنة المقدر عددها بـ 20 ألف نسمة¹²² وكذا بالطلب الخارجي الكبير على منتجات المدينة. فالتحريات الأثرية بمحيط الموقع أثبتت انتشاراً واسعاً لخزف البصرة بالمنطقة الممتدة من القصر الكبير لولي بوسلهما.¹²³

الدور الذي لعبته المدينة كعاصمة إقليمية للأدارسة جعل منها مركزاً حضارياً هاماً أسهم في تنشيط الحركة التجارية بالمناطق المجاورة عبر تسويق منتجات المدينة المتنوعة وفي طليعتها الخزف. ولم يستخدم هذا الأخير كبضاعة فحسب، بل أيضاً كوسيلة لنقل السلع وخاصة منها السوائل والمواد الفلاحية في اتجاه أسواق المناطق المجاورة وإلى إفريقية والأندلس.

وتم العثور أيضاً على قطع نقدية مضروبة بالبصرة مما يدل على وجود دار للسكة بالمدينة وعلى أهميتها السياسية والاقتصادية.¹²⁴ ومن بين هذه القطع دراهم إدريسيّة مؤرخة بمرحلة حكم القاسم وابنه إبراهيم،¹²⁵ وأخرى أموية وعددها عشرة، ضربت بالمدينة في السنتين الأخيرتين التي كانت تابعة فيها لأمويي الأندلس. ويحمل دراهم منها اسم الحاكم المستنصر بالله والدرّاهم المتبقية اسم يحيى بن علي عامل هشام المؤيد بالله على البصرة.¹²⁶

الأوضاع السياسية

ومنذ إنشائها المحتمل خلال مرحلة وصاية راشد وفقاً لدرهم اكتشف بالبصرة ضرب سنة 180 هجرية/796-797،¹²⁷ عرفت البصرة مجموعة من التحولات السياسية والاقتصادية ارتبطت بالأوضاع السائدة آنذاك ببلاد المغرب؛ وبعد وفاة إدريس الثاني أوكل محمد بن إدريس أمر كل منطقة من مناطق المغرب إلى أحد إخوته، وعادت ولاية البصرة وطنجة

121. المصطفى أتق، “خزفيات،” 5-8. بلغ عدد اللقى الخزفية المكتشفة خلال سنة 1999 فقط 10776 قطعة. وقد تم العثور على أعداد قطع مماثلة سنة 1998 وأخرى ولو بكميات أقل خلال سنوات 1990 و1994 و1995.

122. رواية للحسن الوزان تتحدث عن وجود حوالي ألفي لقى كانوا بالبصرة، الوزان، وصف إفريقيا، 241.

123. Ennahid, “Political,” 186.

124. Benco, Saleh Ettahiri et Meftah, “Recherches,” 347-364.

125. Eustache, *Corpus*, 45; Lahbib Maamri, *Monnaies inédites des Idrissides: l'apport numismatique à la recherche historique au Maroc* (Fés: Éditions post-modernité, 2006), 65-66 et 71-73.

عبد الرحمن أمل، “مسكوكات طنجة الوسيطية: ملامح تاريخية من نقودها (منذ دخول الإسلام إلى نهاية القرن 3هـ)،” أسيناگ 12 (2017): 45.

126. Benco, Saleh Ettahiri et Meftah, “Recherches,” 347.

127. Eustache, *Corpus*, 109.

وما والاها حسب البكري وابن خلدون للقاسم،¹²⁸ في حين روى ابن أبي زرع أن البصرة كانت بعد هذا التقسيم من نصيب يحيى بن إدريس.¹²⁹ وبناء عليه، نسجل وجود اختلاف في تحديد ما إذا كانت البصرة تحت ولاية يحيى أو القاسم، ولعل سبب هذا التضارب راجع إلى الموقع الجغرافي للبصرة بين منطقتي نفوذ يحيى والقاسم المجاورتين. فكلاهما تقعان بأقصى الشمال الغربي للمغرب، منطقة القاسم في الشمال ومنطقة يحيى إلى الجنوب منها، كما أن تبادل مناطق النفوذ بين أبناء إدريس الثاني بفعل الخلاف الذي نشب بينهم قد يكون سبباً لتفسير اختلاف الروايات حول اسم الأمير الذي انتقلت البصرة تحت ولايته. إلا أن ما يذكره الروايات التي تجعل البصرة تحت إمرة القاسم هو العثور على درهم منسوب حسب أو سطاش إلى القاسم ضرب بالمدينة سنة 245 هجرية/859 ميلادية.¹³⁰

ونتيجة للنزاع المحتدم بين محمد وعيسى أبناء إدريس الثاني، طلب الأول من أخيه القاسم التدخل لردع عيسى، إلا أن رفض القاسم الامتثال لأمر الأخ الأكبر دفع بمحمد إلى اللجوء لأنبيه الثالث عمر بغية التدخل ضد كل من عيسى والقاسم. وقد تمكن عمر من هزم أخيه ومن ضم المناطق المسندة إليهم.¹³¹ وبعد هذه الأحداث، انتقلت البصرة إلى ولاية عمر، وهو ما يؤكده ابن خلدون في روايته.¹³²

وفي إشارة انفرد بها ابن الأبار، استعاد القاسم ما كان بحوزته من مناطق بعد مساندة القبائل له: ”فليما عاين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمراقبته فصرفوه إلى عمله، ورجع إليه كل من صدر إلى أخيه محمد وعمر.“¹³³ ولعل ما يذكره هذه الرواية تحول البصرة حسب ابن خلدون إلى أبناء القاسم،¹³⁴ وعلى رأسهم إبراهيم بن القاسم الذي حكم المدينة وفقاً لرواية ابن عذاري لمدة أربعين سنة،¹³⁵ وهي أطول مدة حكم عرفتها البصرة تحت إمرة نفس الحاكم. من المرجح إذن أن البصرة قد عرفت، بفضل مرحلة الاستقرار هذه، أوج ازدهارها فتطورت سريعاً لتحول لإحدى أهم العواصم الإقليمية للأمراء الأدارسة،¹³⁶

128. البكري، المسالك والمالك، 806؛ ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 287.

129. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 65-66.

130. Eustache, *Corpus*, 45.

131. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 65-66.

132. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 287.

133. أبو عبد الله ابن الأبار، الحلقة السيراء، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، الجزء الأول (القاهرة: دار المعارف، 1985)، 131.

134. ابن الأبار، الحلقة السيراء، الجزء الأول، 131.

135. ابن عذاري، البيان المغرب، 235.

136. Yver, “Al-Basra,” 1120.

وهو ما يؤكده أبو الفداء الذي وصفها بقاعدة المنطقة المجاورة لقصر عبد الكريم (القصر الكبير).¹³⁷

وبعد إبراهيم بن القاسم تعاقب على حكم البصرة مجموعة من الحكام لفترات وجiezة.¹³⁸ ويدل هذا التناوب السريع في تولي زمام الحكم بالبصرة على بداية نهاية مرحلة من الاستقرار السياسي التي عرفتها المدينة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ودخولها دوامة من التزاعات السياسية طبعت تاريخ المغرب طيلة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أمام تراجع نفوذ الأدارسة. وللتعمير عن تغير أوضاع المدينة، نورد مقتطفاً من نص ابن حوقل الذي يتحدث عن البصرة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قائلاً: ”والبصرة وظاهر فاس فأكثرهم في ضمن ولد إدريس [...] وكانت حا لهم فيما تقدم أزيد من هذه الحال صلاحاً وفي وقتنا هذا فقد تدانت أحواهم.“¹³⁹

قوى ضعف الأدارسة أطمع جيرانهم بإفريقية لضم المغرب تحت نفوذهم. وهكذا وبتحالفه مع موسى بن أبي العافية، تمكن مصالحة الشيعي سنة 305هـ/918م من هزم يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس.¹⁴⁰ وفي عام 309هـ/922م، عاود مصالحة غزو المغرب بدعم من ابن أبي العافية وطرد يحيى بن إدريس من فاس فلحق بابن عمه في البصرة¹⁴¹ التي ما لبثت أن سقطت أيضاً في قبضة الحكام الجدد وخضعت لنفوذ سعيد غلام المظفر من قبل مصالحة بن حبوس.¹⁴²

وفي سنة 310هـ/923م تمكن حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس المعروف بالحجاج من دخول فاس وإعادة البصرة إلى حكم الأدارسة؛¹⁴³ فتولاها تباعاً كل من محمد بن يحيى بن القاسم ولد الجوطى، ثم عيسى بن أحمد المعروف بأبي العيش ثم أحمد بن القاسم مرة ثانية.¹⁴⁴ وانتقلت المدينة مرة أخرى إلى حكم والٍ قام بتعيينه موسى بن أبي العافية سنة 313هـ/926م بعد تمكن هذا الأخير من إخضاع فاس مرة ثانية.¹⁴⁵

137. أبو الفداء، *تقويم البلدان*، 133.

138. نفسه، 247.

139. ابن حوقل، *كتاب المسالك والممالك*، 72.

140. ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 118؛ ابن خلدون، *كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب*، 171.

141. ابن خلدون، *كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب*، 172.

142. ابن عذاري، *بيان المغرب*، 235.

143. ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 119-120؛ ابن خلدون، *كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب*، 173. يؤرخ ابن خلدون هذا الحديث بسنوات 313هـ/926م.

144. ابن عذاري، *بيان المغرب*، 235.

145. ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 122.

وخافة من تناهى سلطان موسى بن أبي العافية بال المغرب أرسل إليه أبو القاسم الشيعي بإفريقية قائد جيشه ميسور الذي تمكّن، بدعم من الأدارسة، من هزمه وتوليه حسن بن القاسم اللوالي عاملًا له على فاس من سنة 323هـ/935م إلى 341هـ/953م.¹⁴⁶ وفي الآن نفسه، خضعت البصرة لسلطات لأمير القاسم ابن محمد بن القاسم بن إدريس.¹⁴⁷ وبعده عاد أبو العيش بن أحمد إلى حكم البصرة مرة أخرى، مما يؤكد دخول الأماء الأدارسة في صراعات داخلية لحكم المدينة.¹⁴⁸ وأمام تزايد ضغط الأمويين بالأندلس، خاصة بعد سيطرتهم على طنجة وسبتها، بايع أبو العيش عبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الأندلس.¹⁴⁹

وبعد أبي العيش بن أحمد تولى السلطة ابنه أحمد بن أبي العيش إلى سنة 347هـ/958م.¹⁵⁰ وفي السنة ذاتها (أي 347هـ)، ملك الناصر الأموي جزءاً هاماً من المغرب وولي عليه محمد اليفري، مما دفع معه المعز لدين الله بن إسماعيل بن المهدى عبد الله الفاطمي إلى إرسال قائده جوهر الرومي بغية إخضاع المغرب.¹⁵¹ وقد دخل جوهر فاس عام 349هـ/961م، لكن ما لبث أن غادر المغرب أواخر السنة نفسها، حتى عادت القبائل إلى بيعة المروانيين مجدداً،¹⁵² فقدم بلکین بن زيري من إفريقية لإعادة المغرب تحت راية معد ابن إسماعيل.¹⁵³

وخلال هذه المرحلة كان بالبصرة، الحسن بن كنون الذي كان يوالي الفئة الماسكة بزمام الأمور في المغرب؛ فتارة كان يبايع الفاطميين بإفريقية، وتارة أخرى يوالي الأمويين بالأندلس، حيث سبق وأن بايع جوهرًا عندما أخضع المغرب قبل أن ينكث البيعة بخروج جوهر ويتحول إلى المروانيين "خوفاً منهم لا محابة فيهم" على حد تعبير ابن أبي زرع.¹⁵⁴ ثم عاد الحسن بن كنون صاحب البصرة إلى نصرة الفاطميين بقدوم بلکین بن زيري إلى المغرب لإخضاعه.¹⁵⁵ وب مجرد انصراف بلکین أرسل الحكم المستنصر بالأندلس قائده محمد بن القاسم لقتال الحسن بن كنون سنة 362هـ/972م،¹⁵⁶ قتل محمد في المعركة فبعث الحكم

.146. نفسه، 127.

.147. نفسه.

.148. نفسه، 129.

.149. نفسه، 128.

.150. ابن عذاري، البيان المغرب، 235.

.151. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 131-132.

.152. نفسه، 134.

.153. نفسه، 135.

.154. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 135.

.155. نفسه.

.156. نفسه.

قائدا آخر وهو غالب لمواجهة الحسن، فما كان من هذا الأخير إلا أن أخلى البصرة وانتقل للاحتماء بحصن حجر النسر القريب من سبتة.¹⁵⁷ وقد انتصر غالب على الحسن بن كنون، فاقتاده أسيرا إلى الأندلس سنة 363هـ/974م.¹⁵⁸

وفي سنة 366هـ/977م قلد المنصور بن أبي عامر بالأندلس جعفر بن علي أمر المغرب.¹⁵⁹ ويروي ابن خلدون أن جعفرا نزل بالبصرة،¹⁶⁰ مما يدل على أن المدينة ظلت محتفظة بدورها كعاصمة إلى جانب فاس حتى تحت حكم الأمويين. إلا أن التزاع بين جعفر وأخيه يحيى بالبصرة دفع بالأول إلى الخروج من المدينة والتوجه جنوبا حيث برغواطة في حروب خرج منها منهزاً فعاد إلى البصرة ومنها إلى الأندلس. ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: ”ونجا بنفسه في فل من جنده ولحق بأخيه بالبصرة ثم أجاز بعدها إلى المنصور باستدعائه وترك أخاه يحيى على عمل المغرب.“¹⁶¹ إشارة تؤكد مرة أخرى الدور الذي لعبته البصرة كعاصمة خلال هذه الحقبة.

وفي سنة 367هـ/977م عاد بلكين بن زيري إلى غزو المغرب فطرد منه عمالبني أمية ومنهم يحيى بن علي بن حمدون الذي كان بالبصرة.¹⁶² اتجه بلكين نحو سبتة إلا أنه اصطدم بالحجم الكبير للجيوش التي جمعها المنصور بن أبي عامر حاكم الأندلس، فعاد أدراجه وتحول وجهة البصرة فهدمها ونهب ما فيها من أموال سنة 368هـ/978م.¹⁶³

أما بخصوص الحسن بن كنون، آخر الأمراء الأدارسة، فقد أخرجه الحكم من الأندلس وغربه إلى المشرق سنة 365هـ/975-976م، فاتجه نحو مصر ثم إلى إفريقيا حيث تلقى الدعم من بلكين بن زيري قائد نزار بن معد للعودة إلى المغرب ومواجهة الأمويين، فكان له ذلك سنة 373هـ/984-983م إلا أنه تلقى الهزيمة على يد أبي عامر وقتل في أسره في طريقه إلى الأندلس سنة 375هـ/985-986م.¹⁶⁴ وهكذا، فقد تزامن تخريب البصرة مع نهاية حكم الأدارسة بالمغرب وتجدد الإشارة إلى أنه وبعد التخريب الذي تعرضت له المدينة لم يصلنا عن تاريخها السياسي شيء يستحق ذكره.

157. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 290.

158. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 138؛ ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 290.

159. كان المنصور بن أبي عامر يدير دفة الحكم بالأندلس منذ سنة 366هـ/977-976م بعد وفاة الحكم المستنصر. وقد استغل صغر سن ابن الحكم، هشام، ليصل إلى الحكم بعد أن أقصى منافسيه ومنهم القائد غالب المذكور أعلاه. توفي سنة 392هـ/1002م. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 277.

160. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 277.

161. نفسه، 278.

162. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 199-198.

163. ابن عذاري، البيان المغرب، 268.

164. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 143-140.

أثريا، مكنت الحفريات من الكشف على مستويات أثرية تؤكد المدح الذي تعرضت له المدينة، كما تم الكشف عند عتبة باب أحد المنازل على عشر قطع نقدية أموية،¹⁶⁵ تحمل أحدها تاريخ 978هـ/368م، بمعنى أن آخر استعمال لهذا المنزل شأنه في ذلك شأن مساكن أخرى بالبصرة ربما يعود لتلك السنة.¹⁶⁶ ويعزز هذا الاكتشاف مع ما ورد في النصوص التاريخية التي أرخت تخريب البصرة بعد الغزو الفاطمي للمغرب بسنة 368هـ.

أثريا دائمًا، أثبتت دراسة الخزف بأن الاستقرار بالمدينة امتد طيلة المرحلة الإدريسية وانتهى بانتهاء الحكم الإدريسي بالمغرب؛ إذ تعود نماذج البصرة الخزفية المدروسة بشكل خاص إلى للقرنين الثالث والرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي،¹⁶⁷ في حين لم يتم التعرف على نماذج مميزة للقرون اللاحقة مثل الأواني المغطاة تماماً بزخرفة الجبل الجاف التي بدأت في الانتشار بالغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.¹⁶⁸

وجاء تدمير البصرة نتيجة للصراع المحتدم بين حكام إفريقية وحكام الأندلس الذين تنافسوا من أجل تعزيز نفوذهم بالمغرب الذي شكل بالنسبة للأمويين بالأندلس حاجزاً أمنياً وفر بهم الحماية من التوسع العباسى والفاتمي، واعتبر بالنسبة لحكام إفريقية بمثابة مر العبور الوحيد نحو الأندلس، وهو ما يؤكده ابن أبي زرع في معرض حديثه عن الأدارسة حيث يقول: ”وكان عملهم بالمغرب من السوس الأقصى إلى مدينة وهران وقاعدة ملتهم مدينة فاس ثم البصرة، وكانوا يcabدون مملكتين عظيمتين وغالبين كبيرين دولة العبدية بمصر وإفريقية ودولة بنى أمية بالأندلس [...] وكان سلطانهم إذا اشتد وقوى إلى مدينة تلمسان؛ وإذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز سلطانهم البصرة وأصيلاً وحجر النسر.“¹⁶⁹

وقد كانت البصرة من أهم المراكز المستهدفة بهذا الصراع بالنظر إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي عند ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين شمال المغرب والأندلس وبين منطقة فاس في الجنوب الشرقي وتمامنها في الجنوب الغربي. كما أسهم الازدهار الاقتصادي للمدينة والدور السياسي البارز الذي لعبته كعاصمة إدريسية، في تقوية أطماع الغزاة الذين سعوا إلى احتلالها أو استئصال حكامها في ظل الضعف الذي آل إليه الأمراء الأدارسة.

165. Benco, Saleh Ettahiri et Meftah, “Recherches,” 347-64.

166. الطاهري، مفتاح والبدوي، ”مدينة البصرة،“ .81 .230 .167

168. Claire Déléry, “Dynamiques économiques, sociales et culturelles d’al-Andalus à partir d’une étude de la céramique de cuerda seca, seconde moitié du X^e siècle-première moitié du XIII^e siècle” (Thèse de doctorat d’histoire à l’Université de Toulouse II, 2006), 56-57.

169. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 144.

وكان دعم القبائل، وفي مقدمتها أوربة، من بين أهم أسباب نجاح الأدارسة في بسط نفوذهم على مناطق هامة من المغرب، إلا أن تشتت هذا الدعم بين العواصم الإدريسية المتفرة والمتنازعة من جهة، وبين الفاطميين والأمويين من جهة أخرى، أسهم في بداية تراجع هذا النفوذ.¹⁷⁰ وتزامن هذا التراجع مع بروز قوى منافسة في مقدمتها الفاطميون الذين دعموا في مرحلة أولى موسى بن أبي العافية لدخول فاس ثم البصرة، والأمويين الذين كانوا يراقبون الوضع من الأندلس وسبّة على مقربة من الأرضي الخاضعة لأمراء الأدارسة بالبصرة وأصيلاً مستعددين للتدخل كلما أحسوا باقتراب التهديد من قبل الفاطميين.¹⁷¹

وبالنظر إلى حجم المبادرات التجارية بين البصرة والأندلس من خلال مرسين على الساحل الأطلسي للمغرب، فقد اتسمت مكانة المدينة وما تتجه من مواد فلاحية وصناعية بأهمية بالغة بالنسبة لتجار الأندلس واقتصادها. وحافظا على مصالحهم الاقتصادية بشمال المغرب بشكل عام وبمحيط البصرة خاصة، تدخل الأمويون في مناسبات عديدة لإعادة توطيد العلاقات مع أمراء البصرة وفك الارتباط الظرفي الذي كان يجمع بين الأدارسة والفاطميين إبان الأزمات، كتلك التي تحالف فيها أبو القاسم الشيعي بإفريقية مع الأدارسة هزم موسى بن أبي العافية وتولية حسن بن القاسم اللوالي عاماً له على فاس من سنة 323هـ/934م إلى 341هـ/953م.¹⁷² إلا أنه ومع تسامي نفوذ الفاطميين ونجاحهم عدة مرات في استئلة حكام البصرة، ما كان من الحكم المستنصر إلا أن تدخل بإرسال جيشه لمواجهة الحسن بن كنون آخر أمراء البصرة وإخضاع المدينة لسلطة الأمويين بشكل مباشر بالإقدام على تعين عمالة على المدينة.¹⁷³

وبعد تخريبيها، لم تتمكن البصرة من العودة إلى الحياة مجدداً، على الرغم من المؤهلات الاقتصادية لمجاهاها الطبيعي؛ ولعل مرد ذلك إلى أخذ قصر عبد الكري姆 (القصر الكبير) ريادة المنطقة منها¹⁷⁴ واستمرار عمليات غزو بلkin للمغرب طيلة المرحلة التي أعقبت التخريب لمدة خمس سنوات.¹⁷⁵

170. نفسه، 131-132.

171. Chafik T. Benchekroun, “Les Idrissides Entre Fatimides et Omeyyades,” *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* 139 (2016): 29-50.

172. ابن أبي زرع، روض القرطاس، 127.

173. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 290.

174. أبو الفداء، تقويم البلدان، 133.

175. ابن خلدون، كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، 201. وفقاً لرواية لابن خلدون بعد سنوات من الغزو بال المغرب، انصرف بلkin، سنة 372هـ/983م، وجهاً القironان فهلك في الطريق.

ومن جهة أخرى، تعتبر البصرة مشروعاً حضرياً إدريسيّاً بامتياز، حيث أنشأت وتطورت وازدهرت تحت حكم الأدارسة. وعلى الرغم من مرحلة التقهقر الذي عانى منه هؤلاء طيلة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، نجح الأمراء الأدارسة في الإبقاء على البصرة صامدة بفضل سياسة الموالاة التي انتهجهوها بالاصطفاف إلى جانب الفاطميين تارة، وإلى جانب الأمويين تارة أخرى. وب مجرد جلاء الحسن بن كنون آخر الأمراء الأدارسة عنها سنة 363هـ، فقدت المدينة مشروعيتها السياسية ومقومات وجودها كعاصمة إدريسيّة فكان مصيرها الزوال.

Bibliographie

- 'Abū al-Fidā', 'Imād ad-Dīn 'Ismā'īl ibn Muḥammad ibn 'Umar. *Taqwīm al-Buldān*. Paris: Dār at-ṭibā'a aş-ṣultāniya, 1830.
- Akerraz, Aomar et René Rebuffat. "El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Ad Novas." In *Actes du IV^e Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, 113^e Congrès national des Sociétés savantes, Strasbourg, 5-9 avril 1988, l'armée et les affaires militaires 2, 367-408. Paris: CTHS, 1991.
- Al-Bakrī, 'Abū 'Ubayd 'Allāh. *Kitāb al-masālik wa al-mamālik, al-juz' al-khāṣ bi al-Maghrib fī dhikri Ifrīqiyya wa al-Maghrib*. Ḥaqqaqahū wa qaddama lahu wa fahrasahu Adrian Van Luven wa André Ferri, vol. II. Qartāj: Bayt al-Ḥikma, 1992.
- Al-Bū'nānī, al-Muṣṭafā. "Ma'ālim marfā' ālā diffat al-Marja' az-zarkā' bi manṭaqat al-Gharb." In *Al-mawāqiq al-athariyya fī minṭaqat al-Gharb bayna al-baḥr al-'ilmī wa al-bu'd at-tanmawī*, silsilat nadawāt wa munāḍarāt 9, 105-9. Al-Qunayṭra: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, 2007.
- Al-Ḥimyārī, Muḥammad ibn 'Abd al-Mun'im. *Ar-Rawd al-mi'tār fī akhbār al-'aqīqār*. Taḥqīq Iḥsān 'Abbās. Bayrūt: Maktabat Lubnān, 1975.
- Al-'Idrīsī, ash-Sharīf. *Al-Maghrib wa 'Ard As-Sūdān wa Miṣr, min kitāb nuzhat al-mushtaq fī ikhtirāq al-āfāq*. Leiden: E.J. Brill, 1968.
- Al-İşṭakhrī, 'Abū 'Ishāq İbrāhīm ibn Muḥammad al-Fārisī al-mā'rūf bi al-Kalkhī. *Al-Masālik wa al-Mamālik*. Taḥqīq Muḥammad Jābir 'Abd al-'Ālī al-Ḥīnī. Al-Qāhira: Wizārat ath-thaqāfa, 1961.
- Al-Maghribī, Ibn Sa'īd. *Kitāb bast al-'Ard fī at-ṭuli wa-l-'ard*. Tiṭwān: Ma'had Mawlāy al-Hasan, 1958.
- Al-Maqdisī, Shams ad-Din Abū 'Abd 'Allāh Muḥammad al-mārūf bi al-Bushārī. *Kitāb Aḥsan at-taqāsīm fī ma'rīfat al-aqālīm*. Bayrūt: Dār Bayrūt, 1987.
- Al-Murrākushī, Ibn 'Idhārī. *Al-Bayān al-Mughrib fī Akhbār al-Andalus wa al-Maghrib*. Al-juz' 1, tārīkh Ifrīqya wa al-Maghrib min al-fatḥ 'ilā al-qarn ar-rābi' al-hijrī. Taḥqīq wa murāja'at Evariste Lévi-Provençal et Georges S. Colin. Bayrūt: Dār ath-Thaqāfa, 1948.
- Al-Wazzān, al-Hasan Ibn Muḥammad. *Wasf Ifrīqya*. Tarjamahū 'ani al-faransiyā Muḥammad Ḥajjī wa Muḥammad al-Akhḍar, vol. I. Ar-Ribāṭ: Manshūrāt al-Jam'iyya al-Maghribiyya li at-tālīf wa at-tarjama wa an-nashr. Bayrūt: Dār al-gharb al-'islāmī, 1983.
- 'Amal, 'Abd ar-Rahmān. "Maskūkāt Ṭanja al-wasītiyya. Malāmih tārīkhīya min nuqūdihā (Mundhu dukhūl al-'Islām ḥattā al-qarn 3 hijrī)." *Asināg* 12 (2017): 31-58.

- 'Atkī, Muṣṭafā. "Khazafiyāt al-Basra: Dirāsa tārīkhīya wa athariya." 'Uṭrūḥa li nayl shahādat ad-duktūrāh min Jāmi'at Muḥammad al-Khāmis, kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, ar-Ribāṭ, 2013.
- At-Tabarī, Abū Ja'far Muḥammad Ibn Jarīr. *Tārikh ar-rusul wa al-mulūk*. Taḥqīq Muḥammad 'Abū al-Fadl 'Ibrāhīm, vol. V. Al-Qāhira: Dār Al-ma'ārif, 1968.
- 'Attāhirī, Aḥmad Ṣalih wa Nūr ad-Dīn Miftāḥ wa 'Ibrāhīm al-Badawī. "Madīnat al-Baṣra min khilāl al-maṣādir at-tārīkhīya wa al-mukhallaṣat al-athariyya." In *Al-mawāq i al-athariyya fī minṭaqat al-Gharb bayna al-baḥth al-'ilmī wa al-bu'd at-tanmawī*, silsilat nadawāt wa munāḍarāt 9, 73-93. Al-Qunayṭra: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, 2007.
- Benchekroun, Chafik T. "Les Idrissides entre Fatimides et Omeyyades." *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* 139 (2016): 29-50.
- Benchekroun, Chafik T. et Ludovic Liétard. "Les Idrissides à la lumière de fulūs frappés à Volubilis et Tahert." *Arabica* 62 (2015): 727-40.
- Benco, Nancy L. "Al-Basra in Historical and Archaeological Perspective." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 3-9. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Benco, Nancy L., Ahmed Saleh Ettahiri & Nourredine Meftah. "Recherches sur la numismatique du Maroc islamique: étude préliminaire des monnaies umayyades d'Al-Basra." *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 20 (2004): 347-67.
- Benco, Nancy L., James E. Franklin & Azzedine Karra. "Al-Basra's Fortification Walls and Towers." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 9-18. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Benco, Nancy L. Ahmed Saleh Ettahiri & Michelle Loyet. "Worked Bone Tools: Linking Metal Artisans and Animal Processors in Medieval Islamic Morocco." *Antiquity* 76, 292 (2002): 447-57.
- Benco, Nancy L. *The Early Medieval Pottery Industry at al-Basra, Morocco*. Oxford: BAR International Series, 1987.
- Cressier, Patrice. "Prospection géophysique sur le site médiéval d'al-Basra." *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 15 (1983-1984): 361-66.
- Déléry, Claire. "Dynamiques économiques, sociales et culturelles d'al-Andalus à partir d'une étude de la céramique de cuerda seca, seconde moitié du X^e siècle-première moitié du XIII^e siècle." Thèse de doctorat d'histoire à l'Université de Toulouse II, 2006.
- Doukali, Hasna. "Les objets métalliques d'al-Basra." Mémoire de fin d'étude de l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine à Rabat, 2012.
- Ennahid, Saïd. "Beyond Al-Basra: Settlement Systems of Medieval Northern Morocco in Archaeological and Historical Perspective." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 79-91. Oxford: BAR International Series, 2004.
- _____. "Political Economy and Settlement Systems of Medieval Northern Morocco: An Archaeological Historical Approach." Dissertation Presented in Partial Fulfilment of the Requirements of Philosophy, Arizona State university, 2001.
- _____. "Contribution à l'étude de la céramique d'al-Basra, Maroc." Mémoire de fin d'études de l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, 1991-1992.
- Ettahiri, Ahmed Saleh. "La ville médiévale d'al-Basra et ses deux ports atlantiques (Maroc du Nord)." In *Rotte e porti del Mediterraneo dopo la caduta dell'impero romano d'occidente*, IV seminario, Genova, 18-19 Giugno 2004, ed. Lorenza De Maria e Rita Turchetti, 157-169. Soveria Mannelli (Catanzaro): Rubbettino Editore, 2004.

- Eustache, Daniel. *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*. Collection de la Banque du Maroc 5. Rabat: Banque du Maroc, 1970-1971.
- _____. "El-Basra, Capitale idrisside et son port." *Hespéris* 42 (1955): 218-38.
- Euzennat, Maurice. "Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin." *Latomus* 62 (1962): 595-610.
- Fili, Abdallah. "Quelques aspects juridiques de la production céramique d'après les textes arabes." In *Actas das 4.as Jornadas de cerâmica medieval e pós-medieval: métodos e resultados para o seu estudo*, Tondela, 24 a 27 de Outubro de 2000, 539-54. Porto: Câmara Municipal de Tondela, 2008.
- Gayraud, Roland-Pierre. "D'Est en Ouest, la céramique islamique." In *La céramique maghrébine du haut moyen âge (VII^e-X^e siècle) état des recherches, problèmes et perspectives*, Patrice Cressier et Elizabeth Fentress, (eds.) Collection de l'École française de Rome 446, 293-302. Rome: École française de Rome, 2011.
- Hembree, Jennifer F. "Pottery and Ethnic Change at Al-Basra." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 45-50. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Ibn 'abī Zar', 'Alī. *Al-'anīs al-muṭrib bi rawḍi al-qīrṭās fī 'akhbār mulūk al-Maghrib wa tārīkh madīnat Fās*. Harrarah wa 'allaqa 'alayh Muḥammad al-Hāshimī al-Fīlālī, vol. II. Ar-Ribāt: Al-Maṭba'a al-wataniyya, 1936.
- Ibn Al-'Abbār, 'Abū 'Abd 'Allāh. *Al-Hullā as-sayrā*. Ḥaqqaqahu wa 'allaqa 'alā ḥawāshīn Ḥusnī Mu'nīs, vol. I. Al-Qāhira: Dār al-ma'ārif, 1985.
- Ibn Al-'Athir. *Annales du Maghreb et de l'Espagne*. Traduite et annotée par Edmond Fagnan. Alger: Typographie Adolphe Jourdan, 1898.
- Ibn Ḥawqal, Muḥammad 'Abū al-Qāsim. *Ṣūrat al-'ard*. Bayrūt: Dār maktabat al-Ḥayāt, 1979.
- _____. *Kitāb al-masālik wa al-mamālik*. Leiden: E.J. Brill, 1872.
- Ibn Khaldūn, 'Abd ar-Rahmān. *Kitāb Tārīkh ad-duwal al-'islāmiya bi al-Maghrib, wa huwa al-qism al-'akhīr min at-Tārīkh al-kabīr al-musammā kitāb al-'ibar wa dīwān al-mubtadā wa al-khabar fī ayyām al-'arab wa al-'ajam*. vol. I. Al-Jazā'ir: Dār at-ṭiba'a as-sultāniya, 1847.
- Kluender, Rachel. "Speaking Stones: Islamic Burial Practices at Al-Basra." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 61-8. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Lavoix, Henri. *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Espagne et Afrique*. Paris: Imprimerie Nationale, 1891.
- Loyer, Michelle. "Food, Fuel and Raw Material: Faunal Remains from al-Basra." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 21-31. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Mahoney, Nancy. "Agriculture, Industry, and the Environment: Archaeobotanical Evidence from Al-Basra." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 31-44. Oxford: BAR International Series, 2004.
- _____. "Economy and Environmental Al-Basra: An Archaeological Analysis of a Medieval Islamic Urban Center." Thesis for obtaining the Master of Arts, G. Washington University, 1994.
- Majmū'a mina al-mu'allifin. *Tārīkh al-Maghrib, tāhyīn wa tarkīb*. 'Ishrāf wa taqdīm Muḥammad al-Qablī. Ar-Ribāt: Manshūrāt al-ma'had al-malakī li al-baḥt fī tārīkh al-Maghrib, 2011.
- Mu'allif majhūl. *Kitāb al-'Istibṣār fī 'ajāib al-'amṣār*. Taḥqīq Sa'd Zaghlūl 'Abd al-Ḥamīd. Ad-Dār al-Bayḍā': Dār an-nashr al-maghribiyya, 1985.

- Redman, Charles. "Survey and Test Excavation of Six Medieval Islamic Sites in Northern Morocco." *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 15 (1983-1984): 311-66.
- Rimi, Abdelkrim, Donald H. Tarling and Sidi Otman el-Alami. "An Archaeomagnetic Study of two Kilns at al-Basra." In *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*, ed. Nancy L. Benco, 95-106. Oxford: BAR International Series, 2004.
- Siraj, Ahmed. "Vie et mort d'une ville islamique. A propos du phénomène urbain dans le Maroc idrisside septentrional." In *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, Patrice Cressier et María García Arenal (eds.), 285-94. Madrid: Casa de Velázquez et Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1998.
- Terrasse, Henri. *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du Protectorat français*. Casablanca: Éditions Atlantides, 1949.
- Tissot, Charles. *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*. Paris: Imprimerie Nationale, 1878.
- Tūrī, 'Abd al-'Azīz. "Al-Baṣra." In *Ma'lamat al-Maghrib*, vol. 4, 1253. Ar-Ribāṭ: al-Jam'iyya al-Maghribiyya li at-tarjama wa at-ta'lif wa an-nashr, 1991.
- Yver, Georges. "AL-Basra." In *L'Encyclopédie de l'Islam*, vol. I, 1120. Leyde-Paris: E.J. Brill- G.-P. Maisonneuve & Larose S.A., 1975.

العنوان: مدينة البصرة الإدريسيّة بالمغرب

ملخص: تعد مدينة البصرة بالمغرب من أهم مدن العصر الوسيط المبكر بالمغرب بالنظر للدور الذي لعبته كعاصمة إقليمية للأدارسة. يغطي جزء من الموقع الأثري للمدينة دوار جعاونة البصرة ونخرقه الطريق الوطنية الرابطة بين وزان وسوق الأربعاء. لم يتبق من آثار المدينة البدية للعيان إلا جزء من سورها بالشمال الغربي. ارتبط تاريخ المدينة ارتباطاً وطيداً بحكم الأدارسة إذ بنيت في بداية عهدهم وتعرضت للتخريب في نهايته. من خلال تحليل نصوص المؤرخين والجغرافيين الذين ورد ذكر البصرة عندهم وربطها بنتائج البحث الأثري والدراسات الحديثة حول الموقع يامكنا التوصل إلى معلومات قيمة نعيد بها كتابة تاريخ المدينة.

الكلمات المفتاحية: البصرة، المغرب، الأدارسة، النصوص، الآثار.

Titre: La ville Idrisside d'Al-Baṣra au Maroc

Résumé: La ville d'Al-Baṣra au Maroc est l'une des villes les plus importantes du haut Moyen Âge au Maroc en raison de son rôle de capitale régionale Idrisside. Une partie du site archéologique de la ville est couverte par le village de J'awnāt al-Baṣra et traversée par la route nationale reliant Wazzān et Sūk Al-'Arbi'a. Il ne reste des vestiges visibles de la ville que la partie nord-ouest de son enceinte. L'histoire de la ville est étroitement liée à celle des Idrissides puisqu'elle a été fondée au début de leur règne avant de subir la destruction à la fin de ce règne. En étudiant les textes des historiens et des géographes qui ont mentionné Al-Basra et en les reliant aux résultats des recherches archéologiques et des études récentes sur le site, nous sommes en mesure de rassembler de précieux renseignements pour réécrire l'histoire de la ville.

Mots-clés: Al-Baṣra, Maroc, Idrissides, textes, archéologie.